

دروس الحج

تُقرأ على الحُجَّاج في المشاعر



د. عبد الله التقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ح) دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٢٩ هـ -
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد الملك بن محمد
دروس الحج تقرأ علم الحجاج في المشاعر. / عبد الملك بن محمد القاسم.
- الرياض، ١٤٢٩ هـ
ردمك: ٩ - ٢٢٤ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨
١. الحج - مناسك
أ. العنوان
ديوي ٢٥٢.٥
١٤٢٩/١٢٠١

رقم الإيداع: ١٤٢٩/١٢٠١
ردمك: ٩ - ٢٢٤ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

فروع دار القاسم للنشر
جدة. هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ . فاكس: ٦٣٣٣١٩١
الدمام. هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ . فاكس: ٨٤١٣٠١١
بريدة. هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ . فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨
خميس مشيط. هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ . فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠
www.dar-algassem.com
sales@dar-algassem.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن عون الله وتوفيقه أن يسر للحاج القدوم لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام؛ الذي من أجل القيام به فارق الأهل والأوطان وأنفق المال، وتحمل النصب والتعب طمعاً فيما عند الله من الأجر والثواب.

ورغبة في إعانة الحاج على الاستفادة من هذه الأيام المباركة التي يقضيها متنقلاً بين المشاعر، جمعت هذه الدروس لتقرأ على الحاج في منى وعرفة ومزدلفة إعانة لهم على الخير وتبصيراً لهم بأمور الشرع؛ وفيها من جميل العبارة وحسن الشئ على الله - عز وجل - بما هو أهله، وأتبعها بالأحكام الفقهية في تلك الأيام، مع تنبيهات لمخالفات قد تقع، وأتممتها ببعض الدروس التي لا يستغني عنها المسلم، فإن الحج فرصة عظيمة للدعوة إلى الله - عز وجل - وبيان شرعه وأحكامه، وأفردت دروساً خاصة للنساء، وختمتها ببعض الفتاوى الهامة.

سائلاً الله - عز وجل - أن يتقبل منا ومنهم صالح الأعمال، وأن يتجاوز عن الزلل والتقصير إنه برّ جواد كريم.

١ الحج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. . أما بعد:

فاحمد الله - عز وجل - أخي المسلم - أن أنعم عليك بنعمة الإسلام،
واحمد الله أن أعانك ويسر لك حج بيته العظيم ، واحمد الله أن جعلك
من أهل الطاعة والاستطاعة: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

واحمد الله أن جعلك ممن سمع النداء فأجابه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

أخي المسلم: الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، لقول النبي ﷺ:
«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام
الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» [متفق عليه].

ويجب على المسلم المستطيع المبادرة إلى الحج حتى لا يَأْثِمَ، قال ﷺ:
«تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» [رواه أحمد].

وعن عبد الرحمن بن سابط يرفعه: «من مات ولم يحج حجة الإسلام،
لم يمنعه مرض حابس، أو سلطان جائر، أو حاجة ظاهرة، فليمت على أي
حال، يهودياً أو نصرانياً».

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «لقد هممت أن أبعث رجالاً
إلى هذه الأمصار، فينظروا كل من كان له جِدَّةٌ ولم يحج، فيضربوا

عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين» [رواه البيهقي].

أخي المسلم: إن فضل الحج عظيم وأجره جزيل، فهو يجمع بين عبادة بدنية، ومالية. فالأولى بالمشقة والتعب والنصب والحل والترحال، والثانية بالنفقة التي ينفقها الحاج في ذلك، ولهذا رتب على القيام بها الأجر العظيم والثواب الجزيل.

قال ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» [متفق عليه].

وسُئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» [رواه البخاري].

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أهل - يعني لبي - مهل ولا كبر مكبر قط إلا بُشر بالجنة» [صحيح الجامع].

ومن فضل الله وجوده وإحسانه لمن قصد بيته ولبي دعوته ما ذكره النبي ﷺ: «ما ترفع إبل الحاج رجلاً ولا تضع يداً إلا كتب الله بها حسنة، أو محاعة سيئة، أو رفع له درجة» [صحيح الجامع].

وحين لامس الإسلامُ شغاف قلب عمرو بن العاص - رضي الله عنه - جاء إلى النبي ﷺ فقال: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط رسول الله ﷺ يمينه، فقبض عمرو يده، قال - عليه الصلاة والسلام - : «مالك يا عمرو»، قال: أردت أن أشتري، قال ﷺ: «تشتري بماذا؟»، قال: أن يُغفر لي، فقال عليه الصلاة والسلام: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله» [رواه مسلم].

وجاءت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - إلى النبي ﷺ فقالت: يا

رسول الله ألا نغزو ونجاهد معكم، فقال - عليه الصلاة والسلام - : «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور» فقالت : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ [رواه البخاري] .

وحدث الرسول ﷺ على التزود من الطاعات والمتابعة بين الحج والعمرة فقال : «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة» [رواه مسلم] .
وقال ﷺ : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» [رواه مسلم] .

وأبشر يا من قدمت إلى الحج بيوم عظيم تقال فيه العثرة وتغفر فيه الزلة فقد قال ﷺ : «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة» [رواه مسلم] .

فلتهنأ نفسك ولتقر عينك وأبشر بهذه البشارات العظيمة، واستثمر أوقاتك فيما يعود عليك نفعها في الآخرة فإنها ستفرحك يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم تتطير الصحف، وترتجف القلوب، وتتقلب الأفئدة، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

واعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، واحرص على الاستفادة من هذه الأيام العظيمة والمواسم الشريفة فقد اجتمع لك فضل الزمان وشرف المكان.

أخي المسلم: عليك بتوحيد الله - تعالى - وإفراده بالعبادة فأنها مقصد كل فريضة، وهدف كل عبادة... قال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ٥٥﴾

وهو يتأكد في الحج خاصة، ولذا كان شعار الحج «التلبية»، وهي إقرار بتوحيد الله وحده لا شريك له، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: كان تلبية رسول الله ﷺ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْكَ، إِنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» [متفق عليه].

فلا يُدعى إلا الله، ولا يطلب تفريج الكرب والنوائب وجلب الخير ودفع الشر إلا منه وحده، ولا يُعتمد ويُتوكل إلا عليه، ولا يُصرف شيء من العبادات من ذبح ونذر ودعاء وخوف، وجميع العبادات القلبية والقولية والعملية لأحد سواه، سواء أكان ملكاً مقرباً أم نبياً مرسلأ أم رجلاً صالحاً أم وثناً أم قبرأ أم غيرها.

فالله أغنى الشركاء عن العمل المشرك فيه، في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» [رواه مسلم].

أضي الحاج: سعادة العبد في كمال عبوديته لله، وتحقيق العبودية يكون بإخلاص العمل لله واتباع هدي النبي ﷺ، وإذا عمل العبد عملاً لم يكن فيه مخلصاً لله كان عمله هباء، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣]، وإذا أخلص فيه لله ولم يكن متبعأ هدي النبي ﷺ كان العمل مردودأ عليه، قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» [رواه مسلم].

وإذا كان العمل خالصاً صوابأ كان متقبلاً مشكورأ، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلاً﴾ [الكهف: ١٠٧]،

روى ابن ماجة عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: حج النبي

ﷺ على رجل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي، ثم قال: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة».

فينبغي للحاج أن يحرص على صحة عمله، وذلك بأن يتعلم مناسك حجه وواجباته وسننه كما شرعها الله تعالى ورسوله، وليحرص على متابعة النبي ﷺ في أوامره ونواهيه وحركاته وسكناته فهو الأسوة والقدوة..

عن جابر - رضي الله عنه - قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته ويقول: «لنأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» [رواه مسلم].

وقد أمر الله - عز وجل - عباده بالتأسي برسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٢١].

أنهى المسلم: مناسك الحج من الواجبات التي أمر الله بالقيام بها، وهي من شعائر الله التي من عظمها فإنها من تقوى القلوب، وتعظيمها إجلالها والقيام بها وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد والأخذ بالعزائم وإتمام الحج على الوجه الأكمل.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

«والمراد بالشعائر أعلام الدين الظاهرة، ومنها: المناسك كلها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ومنها الهدايا والقربات، ومعنى تعظيمها إجلالها والقيام بها وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد».

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ

رَبِّهِ ﷺ [الحج: ٣٠].

قال القرطبي - رحمه الله - : «الحرمان هنا هي أفعال الحج». وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - : «وحرمان الله كلُّ ماله حرمةٌ وأمرٌ باحترامه من عبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها، فتعظيمها إجلالاً بالقلب ومحبتها وتكميلُ العبودية فيها غير متهاون ولا متكاسل ولا متناقل».

قال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - : «ليس من الأدب مع الله ورسوله إذا أمر الله بشيء تقول هو للوجوب أو الاستحباب، أو نهى الله عن شيء تقول: هو للكرهية أو التحريم، وهكذا الرسول ﷺ. هل كان الصحابة يقولون هذا؟ هل يقولون إذا أمر الرسول، أنت عازم؟ ولكن عند وقوع المخالفة حينئذ ينظر الإنسان هل الأمر للوجوب أو الاستحباب، هل النهي للكرهية أو التحريم، وهذه مسألة مهمة، تمام التعبد أنك إذا سمعت الله يأمرك تقول سمعنا وأطعنا، ما تقول هذا أمر وجوب أو استحباب».

وكان من تعظيم السلف ما رواه سفيان بن عيينة عن علي بن الحسين - رضي الله عنهما - : إنه لما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطيع أن يُلبّي، فقليل له : لم لا تلبّي؟ فقال : أخشى أن يقال لي : لا لبيك ولا سعديك، فلما لبي غشي عليه ووقع عن راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

أخي المسلم: من شعائر الحج الظاهرة والتي يجب الحرص عليها ما رواه الترمذي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ سُئل أي الحج أفضل؟ فقال : «العُجُّ والثَّجُّ».

والعج هو رفع الصوت بالتلبية، والشج هو نحر البدن وإهراق الدم. فهي من العبادات التي يحبها الله - تعالى - ويرضاها، والتلبية شعار الحج، فقد روى أحمد والنسائي وابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال: «جاءني جبريل فقال: يا محمد مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج».

وعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ملب يلبى إلّا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا هاهنا» [رواه الترمذي وابن ماجة]. قال أبو حازم: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يبلغون الروحاء حتى تبج حلوقهم من التلبية».

وينبغي الإكثار من التلبية والاستمرار حال الإحرام، فلا يقطعها في العمرة إلا عند الشروع في الطواف، ولا يقطعها في الحج إلا إذا شرع في رمي جمرة العقبة، ويلبي كل إنسان لوحده بدون تلبية جماعية بصوت واحد.

وصفة التلبية ما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن تلبية النبي ﷺ: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» [رواه البخاري].

وينبغي للإنسان أن يستحضر أنه في مجيئه إلى مكة وإحرامه أنه إنما يفعل ذلك تلبية لدعاء الله، قال سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨].

والتلبية هي إجابة دعوة الله - تعالى - لخلقه حين دعاهم إلى حج بيته

على لسان خليله إبراهيم - عليه السلام -، ففيها ما يشعر بإكرام الله لعباده بأن كان إيفادهم بندا منه - عز وجل -.

فإن معنى «ليبك اللهم ليبيك» أي إجابة لك بعد إجابة، أو أنا مقيم على طاعتك وإجابة دعوتك وأمرك لنا بالحج، فإن الملبى هو المستسلم المنقاد لداعيه.

وعلى الحاج بذل الوسع في القيام بإتمام الشعائر على الوجه الذي يرضي ربه، كما قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ولا يتم ذلك إلا بمعرفة أحكام الحج من شروط وواجبات ومستحبات، والواجب أن يجتهد المرء في أمر دينه، وأن يعرف حدود الله - عز وجل - في العبادة قبل أن يتلبس بها حتى يعبد الله على بصيرة، وإنك لتعجب أن الرجل إذا أراد أن يسافر إلى بلد يجهل طريقها، فإنه لا يسافر حتى يسأل ويبحث عن هذا الطريق، وعن الطريق السهل، ليصل إليها براحة وطمأنينة، وبدون ضياع أو ضلال؛ أما في أمور الدين فإن كثيراً من الناس مع الأسف يشرع في العبادة وهو لا يدري حدود الله - تعالى - فيها، ولا شك أن هذا من القصور بل من التقصير.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك ويسر لنا من أمرنا رشداً، اللهم وفق الحاج والمعتمرين ويسر حجهم وتقبل منا ومنهم.

اللهم واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا لا ترغ قلوبنا بعد أن هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رسالة إلى أهل عرفة ومزدلفة ومنى

الحمد لله الذي أعان على العبادة ويسّر، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن نعم الله - عز وجل - كثيرة لا تعد ولا تحصى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [النحل: ١٨] وأعظم النعم وأجلها نعمة الإسلام التي أكرمنا الله بها، فله الحمد والشكر على منّه وفضله ﴿يؤمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يؤمن عليكم أن هدنكم للإيمان إن كنتم صديقين﴾ [الحجرات: ١٧] فكم على وجه الأرض من كافر حرم نعمة الإسلام، وكم من حسيب ووجيه، وكم من تاجر ورئيس أغلق دونه الباب، فلك الحمد ربنا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ثم من نعمة الله عليك - أيها الحاج - أن أظلك برحمته، وفسح لك في عمرك ويسر لك سبل الحج، فلم يمنحك مرض، أو قلة مال، أو خوف طريق أو غيرها من التأخر عن أداء الركن الخامس من أركان الإسلام الذي بشر النبي ﷺ من أداه بقوله: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» [متفق عليه].

وقال ﷺ في الحديث الآخر: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» [رواه مسلم]. فالحج ركن من أركان الإسلام، والحج أعظم الأعمال بعد الإيمان والجهاد، وهو من أفضل القربات، ويهدم ما قبله.

وأبشر بيوم تُقال فيه العثرة، وتغفر فيه الزلة؛ فقد قال ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة» [رواه مسلم].

فهنيئاً لك هذا الخير العظيم، وهذه التَّفَحُّحات الإيمانية التي تغسل أدران المعاصي والذنوب. وأوصيك ونفسي بتقوى الله - عز وجل -، والإخلاص في القول والعمل، والبعد عن الرياء والعُجب، وعليك بالإِنبابة والإِخبات والذُّلُّ لربِّك - عزَّ وجلَّ - واحمده على نعمة أداء هذا الرُّكن العظيم.

وإليك وتفات يسيرة لا تغيبُ عن بالك:

أولاً: تذكَّر أنَّك في أَيَّامٍ عظيمةٍ وهي أَيَّام عشر ذي الحِجَّة، قال ﷺ: «ما العمل في أَيَّام أفضل من هذه العشر» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجلٌ خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء» [رواه البخاري].

وسُئِلَ ابن تيمية - رحمه الله - عن عشر ذي الحِجَّة، والعشر الأواخر من رمضان أيُّهما أفضل؟

فأجاب: «أَيَّام عشر ذي الحِجَّة أفضل من أَيَّام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحِجَّة».

قال ابن حجر - رحمه الله -: «والذي يظهر أنَّ السَّبب في امتياز عشر ذي الحِجَّة، لمكان اجتماع أمَّهات العبادات فيه، وهي الصَّلَاة والصَّيَام والصَّدقة والحُجُّ، ولا يأتي ذلك في غيره».

ثانياً: أنت في بلد الله الحرام مكة. وهو بلدٌ تضاعف فيه الحسنات وكذلك السيئات يعظُمُ إثمها، وقد توَعَّد الله - عزَّ وجلَّ - من يُرد فيه الفساد بعذاب أليم، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «أَي يَهُمُّ بأمرٍ فظيعٍ من المعاصي الكبار». وعن ابن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أبغض النَّاس إلى الله ثلاثة» وذكر منهم: «مُلحد في الحرم» [رواه البخاري].

قال في فتح الباري: «وظاهر سياق الحديث أنَّ فعل الصغيرة في الحرم أشدُّ من فعل الكبيرة في غيره».

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً: «لو أنَّ رجلاً همَّ فيه بإلحادٍ وهو بعدن أبين، لأذاقه الله عذاباً أليماً» هذا فيمن همَّ فيكيف بمن عمل!

ثالثاً: في هذا الموسم والمكان فرصةٌ للتَّوبة إلى الله - عزَّ وجلَّ -، ومحاسبة النَّفس على تقصيرها، وخطمها بخطام العودة والإكثار من دموع النَّدَم والتَّوبة، ويكفي ما امتلأت به الصَّحائف من الذُّنوب والآثام، ويكفي ما مضى من العمر، وفيه ما فيه من تفريطٍ وغفلة، قال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادَّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصَّالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربِّكم».

وفي الحديث القدسي، يقول الله عز وجل: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم» [رواه مسلم].

رابعاً: لقد تركت أهلك، وديارك، وأموالك، وأولادك راغباً فيما عند الله - عز وجلَّ - فلا تضيع هذه الأوقات الثمينة في القيل والقال وكثرة الكلام، وفرِّغ نفسك من لقاء النَّاس وكثرة الحديث، وتفرِّغ لأمر آخرتك، واستشعر هول المطلع وعظمة الجَبَّار، واستشعر أن أيام الحج أيام قلائل سرعان ما تنتقضي فجدَّ أن يكون حجك مبروراً.

خامساً: لا بدَّ أن يكون الصَّبْر لك شعاراً ودياراً، فتجملَّ به، واحرص عليه، فأنت في عبادة عظيمة تصاحبها مشقة السَّفر ووعثاؤه، وقلة الزَّاد وضيق المركب، وكثرة الزَّحَام وطول الطَّرِيق، فلا تتأفف، ولا تتذمَّر، ولا

تُدافع من حولك، وعليك بالرفق والسكينة.

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلإِبِلِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ؛ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيْضَاعِ» (أي: الإسراع) [متفق عليه].

وكان ﷺ يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةُ، السَّكِينَةُ» [رواه مسلم].

ومن خطبة لعمر بن عبد العزيز - رحمه الله - بعرفاتٍ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ السَّابِقُ مِنْ سَبَقٍ بَعِيرُهُ وَفَرْسُهُ، وَلَكِنَّ السَّابِقَ مَنْ غُفِرَ لَهُ.

سادساً: تَذَكَّرْ - أَيُّهَا الْأَخُ الْمُسْلِمُ - أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ، وَجَعَلَهُ مُحَرَّمًا، وَحَرَّمَ إِيْذَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَاحْذَرِ أَنْ يَزِلَّ لِسَانُكَ بِكَلِمَةٍ جَارِحَةٍ أَوْ يَدُكَ بِدَفْعِ أَحَدِ الْحُجَّاجِ، أَوْ بِالِاسْتِعْلَاءِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَيْهِمْ وَإِزْدِرَائِهِمْ، وَابْتَعدْ عَنِ الرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ فِي الْحَجِّ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله -:

الرَّفَثُ: هُوَ الْجَمَاعُ وَمَقْدَمَاتُهُ الْفَعْلِيَّةُ وَالْقَوْلِيَّةُ، خُصُوصًا عِنْدَ النِّسَاءِ وَبِحَضْرَتِهِنَّ.

والفسوق: وهو جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام. والجدال: وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة؛ لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة.

والمقصود من الحج: الذَّلُّ والانكسار لله، والتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِمَا أَمَكَنَ مِنَ الْقُرْبَاتِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ مَقَارِفَةِ السَّيِّئَاتِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ مَبْرورًا، وَالمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جِزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ، وَإِنْ كَانَتْ مَمْنُوعَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ

وزمان، فإنه يغلظ المنع عنها في الحج.

ومتى ما حرصت على الطاعات وتجنببت المنكرات زاد إيمانك وتقاك، وامثلت أمر ربك ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

سابعاً: وأنت في هذه الأيام المباركة استشعر أن الوقت محدود سريع الانقضاء، فانزع إلى خير الصّحب وأفضل الرفقة، وابحث عن أحرصهم على تكبيرة الإحرام، وأداء النوافل، وقراءة القرآن، واجعله لك معيناً ومساعداً، وليكن هو رفيق الرحلة الذي يعينك، ويشد من أزرك على الطاعة والعبادة.

ثامناً: الدُّعاء... الدُّعاء، قال ﷺ: «الدُّعاء هو العبادة» [رواه أبو داود]. فاحرص أخي الكريم على الدُّعاء وأكثر منه بقلب حاضرٍ ورجاءٍ في الإجابة، فإن الله جواد كريم، وقد اجتمع لك شرف الزمان وفضل المكان، وأنت حاجٌّ مسافرٌ... فتحرّر فتح الأبواب وأكثر من الدُّعاء لخاصّة نفسك ولوالديك وذريتك، وادع الله - عزّ وجلّ - أن يجعلك من المقبولين، واجعل لأمة محمّد ﷺ نصيباً من الدُّعاء بأن يصلح الله أحوالهم، وأن يهديهم سواء السبيل.

تاسعاً: في هذا التجمّع يكثر اختلاط الرجال بالنساء، وعلى كلّ مسلم ومسلمة أن يحرص على البعد عن المزاحمة مع غض البصر. قال - تعالى - في حق الرجال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقال - تعالى - في حق النساء: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «وهذا أمرٌ من الله - تعالى - لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم لما حُرّم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم

النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَغْضُوا أَبْصَارَهُمْ عَنِ الْمَحَارِمِ، فَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ وَقَعَ الْبَصَرُ عَلَى مُحَرَّمٍ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَلْيَصْرِفْ بَصَرَهُ عَنْهُ سَرِيعاً.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُذَكِّرُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ مِنْ هُوَ فِي الْوَرَعِ وَالتَّقَى، فَيَقُولُ ﷺ لَهُ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ لَكَ كَنْزاً فِي الْجَنَّةِ، فَلَا تُتْبِعِ النَّظَرَ النَّظَرَ؛ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ» [رواه أحمد].

وهذا ابن سيرين - رحمه الله - يقول: «إني أرى المرأة في المنام فأعرف أنها لا تحلُّ لي، فأصرف بصري عنها»، فاستحضر يا من أنت في بلد الله الحرام... عظم الذنب وقرب الرِّحِيل، وتذكر يوماً تتطير فيه الصُّحف، وتشيب فيه الولدان، ولا يجزي مولود عن والده شيئاً.

هذا وقد فتح الله لك أبواباً كثيرة للخير ومنها:

١ - الحرص على أداء الصَّلَاة في وقتها، وعود نفسك أن تأتي مع الأذان أو قبله فأنت في إجازة تامة من أعمال الدنيا، ومتفرغ للطاعة والعبادة، وأعظمها بعد الشهادتين أداء الصَّلَاة. قال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهْمُوا عَلَيْهِ» [متفق عليه].

٢ - للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منزلة عظيمة في الإسلام، وعده بعض العلماء الركن السادس من أركان الإسلام، وقدمه الله - عز وجل - على الإيمان في قوله - تعالى -: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقدمه الله - عز وجل - في سورة التوبة على إقام الصَّلَاة وإيتاء الزَّكَاة، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وفي هذا التقديم

بيان لشأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعظم منزلته وخطر تركه، ودرجات تغيير المنكر ذكرها النبي ﷺ بقوله: «من رأى منكم المنكر فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» [رواه مسلم].

ومجالات الأمر بالمعروف كثيرة في موسم الحج منها: الدعوة إلى التوحيد ونبذ البدع والخرافات، وإقامة الصفوف حال الصلاة، وتنبية الغافل، وتعليم الجاهل، وإبعاد النساء عن الرجال، والأمر بالحجاب والتحذير من السفور. والمسلمة تعلم النساء كيفية الصلاة الصحيحة وأحكام الطهارة، وتحذرن من البدع والشرك، وتأمرهن بالحجاب، وغير ذلك.

٣ - الدعوة إلى الله - عز وجل - باب عظيم من أبواب الخير، قال ﷺ: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً» [رواه مسلم]، ويتم ذلك بتعليم الجاهل، و تنبيه الغافل، وتوزيع الكتب الشرعية والأشرطة الإسلامية، والدلالة على مكان الدروس والمحاضرات، وغيرها كثير.

٤ - من أعمال الحج التي كانت معروفة قبل الإسلام وبعده؛ إطعام الطعام خاصة في أوقات الزحام وزمن الحاجة، وفي الإطعام أجر عظيم. قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] وكان السلف الصالح يحرصون على إطعام الطعام سواءً أكان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخ صالح، قال ﷺ: «أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة» [رواه الترمذي]. وبادر بإعانة المسنين ومساعدتهم؛ فإن في ذلك احتراماً وتوقيراً لذي الشبهة ومن الرحمة بهم.

٥ - اسثمر الوقت في أنواع العبادة والطاعة، وأيام الحج أيام قلائل،

فلا تضيعها في القيل والقال، والغمز واللّمز ومراقبة النَّاسِ، وانتقاد الأكل والشُّرب والمخيم والمكيفات، بل اسم بنفسك عن أمور الدنيا.

٦ - الصدقة بالمال: فَإِنَّ الإنفاق من أعظم القربات وأجلّ الطّاعات، والآيات والأحاديث في فضل الصّدقة كثيرةٌ جداً، ومن بين هذا الجمع المبارك: الفقير والمنقطع، وأصحاب الحاجات، ففي إعطائهم سدّ لجوعتهم، وتفريج لكربتهم، وإغناؤهم عن السُّؤال، حتى وإن كانت بالقليل من المال، واعلم أنك محتاج للأجر أكثر من حاجة الفقير إلى المال، قال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»، فأقرض الله - عزّ وجلّ - وهو غنيّ عنك؛ ليضاعف لك الأجر والثوبة ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال ابن القيم - رحمه الله - : فَإِنَّ للصدقة تأثيراً عجبياً في دفع البلاء ولو كانت من فاجرٍ، أو ظالمٍ، بل من كافرٍ، فَإِنَّ الله يدفع بها أنواعاً من البلاء.

ومن أنواع الصدقة في موسم الحج: توزيع الماء البارد «السقيا» حيث كثرة الزّحام والعطش، قال ﷺ: «... ومن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله من الرّحيق المختوم» [رواه الترمذي بسندٍ حسنٍ].

٧ - إشاعة السّلام: في هذا المجتمع الكبير وفي وسط الزحام المتتابع والحرّ الشديد، حيث تكون الابتسامة طريق مودةٍ ورحمةٍ، ورفعاً للمعاناة وإظهاراً للتّرابط والتّواد، قال ﷺ: «لا تدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السّلام بينكم» [رواه مسلم].

ومما يتم إشاعة السلام البشاشة والتّبسم في وجه إخوانك الحجاج، فقد

أمرك النبي ﷺ بذلك في قوله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» [رواه مسلم]. وقال عبدالله بن الحارث: «ما رأيت أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ» [رواه أحمد]. ولا تكثر من الضحك والمزاح؛ فإنها أيام عبادة وجد لا هزل وضحك.

٨ - تفريج الكرب وإقالة العثرة حيث يحصل في السفر بعض المتاعب والمصاعب، وفي إعانة المسلمين وتفريج كربهم خيرٌ عظيم، قال ﷺ: «ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله بها كربةً من كرب يوم القيامة» [متفق عليه]. ومن صور تفريج الكرب إرشاد التائبين، وإيصال المنقطعين، وإعانة المحتاجين، وحمل المتاع، والإفراح في المكان.

٩ - التّضحية والإيثار: لقد كان من سمات صحابة رسول الله ﷺ التّضحية والإيثار وتقديم إخوانهم المسلمين على أنفسهم في المأكل، والمشرب والركب والمسكن، وتحمل الجهد والعناء عنهم. وعليك بحسن الصُّحبة فإن للصُّحبة آداب يحسن بك معرفتها، فأنت في سفر، والسفر يسفر عن أخلاق الرجال. واحذر كثرة السؤال والتّدقيق والتّحدّث في كل شيء، قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» [رواه الترمذي].

١٠ - الاستئذان عند الدُّخول والخروج: عند الرّغبة في الذهاب للحرم، أو رمي الجمرات أو غيرها، ولا بد من إعلام المسؤول ليعرف وجهة كل فرد؛ حتى يسهل ترتيب العمل، كما وأنّ ذلك أدعى لعدم التّفرق والضياع. ومن آداب السّفر الشرعية اتخاذ أمير في السّفر قال ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم» [رواه أبو داود] وهذا أدعى للاتفاق، والبعد عن كثرة الآراء وتعدددها.

١١ - اجعل لك في هذه الأيام المباركة جدولاً لحفظ سورة من كتاب الله

- عزَّ وجلَّ - ولتكن: سورة البقرة، أو سورة الكهف، أو سورة النور مثلاً، واستعن بالله... وسوف يفتح الله على قلبك، وكان السلف يستحبون أن يتختموا في مكة ختمة أو ختمتين.

قال إبراهيم النخعي - رحمه الله - عن حال السلف في الحج: «كان يعجبهم إذا قدموا مكة ألا يخرجوا منها حتى يختموا القرآن بها».

١٢ - حافظ قدر المستطاع على نظافة المكان الذي تنزل فيه، والطريق الذي تسير فيه، ومن أوجه الصدقة إزالة الأذى عن الطريق.

أفهي الكريم:

احذر العُجب والمباهاة بعملك؛ فإن الله - عزَّ وجلَّ - هو الذي وفقك وأعانك، وهو الذي هداك، فلا تُعجب بعملك؛ فإنه قليلٌ في جنب الله - عزَّ وجلَّ - بل استشعر عظمة خالقك وسعة مغفرته، وادعه - عزَّ وجلَّ - أن لا يكلِّك إلى عملك، ولا إلى نفسك طرفة عين.

واحذر الرياء، والسمعة عند العودة، والتفاخر، وإعلام الناس Lieظموك ولا تحج ليقال حج فلان، أو الحاج فلان.. بل أخلص العمل لله - عز وجل -.

وتجنَّب أن تُسَوِّدَ عملك الصالح بالْمُن والأذى، ولا تردد أقوال بعض المتذمرين «تعبنا»، «الزَّحام كثيرٌ»، «والحرُّ شديدٌ» «خسرت كذا...» واصبر واحتسب، فالعبادة فيها مشقةٌ وطول طريقٍ وما أنت فيه اجتماعٌ كبيرٌ لأمة الإسلام، تحدث خلاله أمورٌ على غير ما اعتدت عليه في بلدك.

وتأمَّل - يا عبدالله - غربتك في مكة وهنَّ أيام قلائل، ووسائل الاتصال متاحة! فكيف هي حالك في غربة القبر ووحشته؟! واعلم أنَّك تموت وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، فاستعد لهذا اليوم وما

بعده، وأكثر من الدعاء أن يتقبل الله حجك، وأن يكتب أجرك، وأن يثبتك على دينه حتى تلقاه.

اللهم اغفر لنا ويسر أمورنا واحفظنا وسهل طريقنا، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، اللهم لا تردنا خائبين ولا عن جنابك مطرودين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب. اللهم اعن الحجاج ويسر أمورهم وتقبل منهم يا أرحم الراحمين، اللهم جد علينا برحمتك، وافض علينا من خيرك، واجعلنا من عتقائك من النار.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢- اليوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية)

الحمد لله لبي له الملبون، وكبر باسمه المكبرون، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ها هي مواكب الحجيج بدأت تسير نحو المشاعر، ونحن اليوم في اليوم الثامن من ذي الحجة ويسمى يوم التروية.

وسمي بذلك لأن الناس يتروون فيه الماء لما بعده، أي يستسقون فيه الماء ليوم عرفة وأيام منى، ومن هذا اليوم إلى آخر التشريق لكل يوم من هذه الأيام الخمسة اسم خاص، فالثامن يوم التروية، والتاسع يوم عرفة، والعاشر يوم النحر، والحادي عشر يوم القر، والثاني عشر يوم النفر الأول، والثالث عشر يوم النفر الثاني.

وإذا كان ضحى هذا اليوم يحرم المرء بالحج من مكانه الذي أراد الحج منه، ويفعل عند إحرامه بالحج كما فعل عند إحرامه بالعمرة، من الغسل والطيب والصلاة، فينوي الإحرام بالحج ويلبي بقوله: «لبيك حجاً»، ثم يخرج إلى منى فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، كل صلاة في وقتها، وتقصر الرباعية من غير جمع، لأن النبي ﷺ كان يقصر بمنى ولا يجمع، والقصر جعل الصلاة الرباعية ركعتين.

أيها الحاج: أنت في موسم عظيم وأيام فاضلات، اجتمع فيها شرف الزمان والمكان.

قال الله - تعالى - : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ

وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الطَّوَّافُ بِالْبَيْتِ، وَبِالصَّافَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمَى الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ»، وقال ﷺ: «الحجُّ المبرور ليس جزاءً إلا الجنة».

ينبغي - أخي الحاج - أن تقوم بشعائر الحج على سبيل التعظيم والإجلال والمحبة والخضوع لله رب العالمين، فتؤديها بسكينة، ووقارٍ، واتباعٍ لرسول الله ﷺ.

واحرص أن تشغل هذه الأوقات الفاضلة بالذكر والتكبير والتسبيح والتحميد والاستغفار؛ لأنك في عبادةٍ من حين أن تشرع في الإحرام حتى تحل منه.

وليس الحجُّ نزهةً للهو واللعب كما يُشاهد من بعض الناس من اضاعة الأوقات في اللعب، والضحك، والاستهزاء بالخلق، وغير ذلك من الأعمال المنكرة كأنما شرع الحجُّ للمرح واللعب.

بل يجب عليك - أيها الحاج - أن تحافظ على ما أوجبه الله عليك من صلاة الجماعة في أوقاتها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وينبغي أن تحرص على نفع المسلمين والإحسان إليهم بالإرشاد والنصح والمعونة عند الحاجة، وأن ترحم ضعيفهم خصوصاً في مواضع الرحمة كمواضع الزحام ونحوها؛ فإن رحمة الخلق جالبةٌ لرحمة الخالق، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

وأن تجتنب الرفث، والفسوق، والعصيان، والجدال لغير نصرة الحق، أمّا الجدال لنصرة الحق فهذا واجبٌ في موضعه.

وأن تجتنب الاعتداء على الخلق وإيذاءهم، فتجتنب الغيبة، والنميمة،

والسب، والشتم، والضرب، والنظر إلى النساء الأجانب؛ فإن هذا حرام في الإحرام وخارج الإحرام، ويتأكد تحريمه حال الإحرام.

أنواع النسك:

أنواع النسك ثلاثة (تمتع، أو قران، أو إفراد)، وأفضلها التمتع ثم القران ثم الإفراد.

والتمتع: هو الإحرام بالعمرة في أشهر الحج (شوال، ذو العقدة، عشر من ذي الحجة) من الميقات و إذا أدت مناسكها حللت من إحرامك، ثم تحرم بعد ذلك من مكة بالحج، وتفدي للتمتع إن كنت من غير حاضري المسجد الحرام.

والقران: أن تحرم بالعمرة وبالحج معاً من الميقات، أو تحرم بالعمرة ثم تدخل عليها الحج قبل الشروع في طوافها، وتبقى في إحرامك إلى أن ترمي الجمرة يوم العيد وتحلق رأسك وتفدي كالتمتع.

والإفراد: أن تحرم بالحج فقط من الميقات أو من مكة إذا كنت مقيماً بها وتبقى في إحرامك إلى أن ترمي الجمرة يوم العيد وتحلق رأسك، ولا فدية عليك.

والأشياء التي يحرم فعلها بعد عقد نية الإحرام:

أولاً: يحرم على الذكر والأنثى بعد عقد نية الإحرام التطيب بجميع أنواع الطيب لا في بدنه ولا في ثيابه، وعليهما تجنب قصد شم الطيب واستعمال المطيب كالأطعمة والأشربة المطيبة والأدهان المطيبة والصابون المطيب.

ثانياً: يحرم على الذكر والأنثى قتل الصيد البري والإعانة على قتله بأي وسيلة أو الدلالة عليه بإشارة وغيرها.

ثالثاً: يحرم على الذكر والأنثى إزالة الشعر من الرأس وجميع البدن

بأي وسيلة وتقليم الأظافر.

رابعاً: يحرم على الذكر خاصة تغطية رأسه بشيء ملاصق كالعمامة والطاقيّة والغترة ونحو ذلك. ولا بأس أن يستظل بالشمسية ونحوها.

خامساً: يحرم على الذكر والأنثى الجماع ودواعيه، من خطبة وعقد نكاح وتحدث عنه.

سادساً: يحرم على الذكر خاصة لبس المخيط من الثياب والفنائيل والشراب وغيرها ولا بأس بعقد الكمر للنفقة، ولبس النظارات والساعة والنعلين والخفين القصيرين تحت الكعبين ولبس النعلين أفضل.

سابعاً: يحرم على المرأة لبس البرقع والنقاب وما خيط على قدر الوجه، ولبس القفازين وهما ما يخاط أو ينسج من الصوف أو القطن أو غيرها على قدر الكفين يدخلان فيهما. وعلى المرأة تغطية الوجه والكفين وسترهما عن الرجال الأجانب.

ومما يحسن التنبيه عليه أن المرأة الحائض والنفساء إذا أصابها الحيض أو النفس قبل الإحرام فإنها تغتسل وتنظف وتطيب وتحرم كما يحرم غيرها، وكذا لو أصابها الحيض أو النفاس بعد ما أحرمت فإنها تبقى على إحرامها، وتفعل ما يفعل الحاج إلا الطواف بالبيت فإنها تؤخره حتى تطهر، وإذا أحرمت متمتعة فجاء يوم عرفة ولم تطهر فإنها تنوي الحج وتدخله على العمرة فتصير قارئة، وتذهب إلى عرفة وتعمل ما يعمل الحاج إلا الطواف والسعي فإنها تؤخرهما إلى أن تطهر. ويصح إحرام الصبي بحج أو عمرة فإن كان مميزاً نوى الإحرام هو، وإن كان دون التمييز نوى عنه وليه ويجنبه محظورات الإحرام.

أعمال هذا اليوم:

- ١ - يستحبُّ للمرء أن يغتسل ويتطيَّب قبل إحرامه .
- ٢ - يسن للمحل - المتمتع - الإحرام بالحجِّ قبل الزَّوال .
- ٣ - ينوي الإحرام بالحجِّ ويقول «لبيك حجاً» وإن كان خائفاً من عائقٍ يمنعه من إكمال حجِّه اشترط فقال : «وإن حبسني حابسٌ فمحلي حيث حبسني» وإن لم يكن خائفاً لم يشترط .
- ٤ - الخروج إلى منى يوم التَّروية، والمبيت بها ليلة التَّاسع، وعدم الخروج منها إلا بعد طلوع الشَّمس وصلاة خمس صلوات بها .
- ٥ - الإكثار من التَّلبية وصفتها أن يقول «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك له لبيك، إنَّ الحمد والنَّعمة لك والملك لا شريك لك» إلى أن يرمي جمرة العقبة يوم النَّحر .
- ٦ - قصر الصَّلَاة الرُّباعية اثنتين (الظهر والعصر والعشاء).
- ٧ - المحافظة على صلاة الجماعة مع الإمام وألا تفوتك تكبيرة الإحرام .
- ٨ - الحرص على صلاة الوتر سواء آخر الليل وهو أفضل، أو قبل النوم أو بعد صلاة العشاء .

التنبه على بعض المخالفات:

- ١ - بعض الرجال إذا أحرموا كشفوا أكتافهم على هيئة الإضطباع، وهذا غير مشروع إلا في حال طواف القدوم أو طواف العمرة، وما عدا ذلك يكون الكتف مستوراً بالرداء في كل الحالات .
- ٢ - من المخالفات ما يظنُّه كثيرٌ من الحجاج من أنَّ الإحرام هو لبس الأزار والرداء بعد خلع الملابس، والصَّواب أنَّ هذا استعداد للإحرام؛ لأنَّ

الإحرام هو نية الدخول في النسك.

٣ - ومن المخالفات اعتقاد بعض النساء أن للإحرام لوناً خاصاً كالأخضر مثلاً، وهذا خطأ، لأنه لا يتعين لون خاص للثوب الذي تلبسه المرأة في الإحرام، وإنما تحرم بثيابها العادية إلا في ثياب الزينة، أما الثياب الضيقة والشفافة فلا يجوز لبسها لا في الإحرام ولا في غيره.

٤ - بعض النساء إذا أحرمن يضعن على رؤوسهن ما يشبه العمام أو الرافعات لأجل غطاء الوجه، حتى لا يلامس الوجه، وهذا خطأ وتكلف لا داعي له ولا دليل عليه، لأن في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النساء كن يغطين وجوههن عن الرجال وهن محرمات، ولم تذكر وضع عمامة أو رافع، فلا حرج في لمس الغطاء الوجه.

٥ - صلاة الفرض بالإزار دون الرداء، فيصلّي الكثيرون وقد كشفوا ظهورهم وعواتقهم، وهذا خطأ؛ لأن النبي ﷺ يقول: «لا يصلّي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء» [متفق عليه].

٦ - قصّ شعر اللحية عند الإحرام مع أن القصّ والحلق ممنوعان بكل حال والعارضان من اللحية.

٧ - ومن المخالفات ما يعتقد بعض الحجاج من أن لباس الإحرام الذي لبسه عند الميقات لا يجوز تغييره ولو اتسخ، بل يجوز أن يغير ملابس الإحرام بمثلها أو يغسلها.

٨ - التلبية الجماعية؛ لأنها لا دليل عليها.

٩ - الجمع بين الصلوات ليس من السنة، ولكن السنة القصّر، تصلّي الظهر والعصر والعشاء ركعتين فقط في مواقيتها.

١٠ - ومن المخالفات صلاة السنن والرواتب، ما عدا سنة الفجر لمحافظة

النبي ﷺ عليها في السفر وإن صَلَّى تطوعاً مطلقاً جاز ذلك لعدم المشقة .
ومن المخالفات عدم الحرص على صلاة ذوات الأسباب من النوافل كالضحى ، وسنة الوضوء ، وسنة الإشراف .

١١ - عدم الإكثار من قراءة القرآن في هذه المواطن وهي مواطن عبادة .

١٢ - ترك المبيت بمنى هذا اليوم حيث إن بعض الحجاج ينطلقون إلى عرفات .

١٣ - شرب الدخان في هذه المشاعر العظيمة والأوقات الفاضلة ، وهو محرم مضر لا فائدة منه .

١٤ - بعض الحجاج إذا أحرموا أخذوا لأنفسهم صورة فوتوغرافية يحتفظون بها للتذكار وعملهم هذا حرام من وجهين :

الوجه الأول: أن التصوير معصية وكبائر الذنوب ، فلا يليق بهم أن يفتتحوا بها نسكهم .

الثاني: أن هذا يدخل في الرياء لأنه يريد أن يرى الناس صورته وهو محرم ، والرياء يفسد العمل .

اللهم وفقنا إلى إتمام حجتنا على الوجه الذي يرضيك عنا ، اللهم اجعلنا من عتقائك من النار ، ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ، اللهم آمّن روعاتنا واستر عوراتنا وأصلح فساد قلوبنا ، اللهم اصلح أحوال المسلمين وول عليهم خيارهم .

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

٤ اليوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة)

الحمد لله بيده مقاليد الأمور، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم، لا يصح الحج بدونه، فمن فاته الوقوف فاتته الحج بإجماع المسلمين، لما رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن عبدالرحمن بن يعمر الديلي أن النبي ﷺ قال: «الحج عرفة، فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج» [رواه أبو داود].

ويوم عرفة يوم عظيم مبارك ونسك كريم له شأن عند الله - تعالى - فينبغي أن يغتنم الحاج ساعاته ولحظاته، وأن لا يفرط بشيء منها فإن الله - عز وجل - يباهي ملائكته بهذا الجمع العظيم، عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة: فيقول: ماذا أراد هؤلاء» [رواه مسلم].

وعلى الحاج كثرة التضرع والانطراح بين يدي الله - عز وجل - وإظهار الذل والفقر والحاجة له - سبحانه وتعالى -.

فهذا يوم الجود والإحسان والعتق من النيران، قال ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة» [رواه مسلم].

ولا يشرع للحاج صيام يوم عرفة لأجل أن يتقوى على العبادة، قال الإمام الشافعي - رحمه الله - ترك صوم يوم عرفة للحاج أحب إليّ من

- تقرأ في يوم عرفة بعد الظهر حتى يتفرغ الحاج للدعاء في باقي اليوم.

صوم عرفة لأن النبي ﷺ ترك صوم يوم عرفة، والخير في كل ما صنع رسول الله ﷺ، ولأن المفطر أقوى في الدعاء من الصائم، وأفضل الدعاء دعاء يوم عرفة.

في سنن أبي داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «رأيت رسول الله ﷺ بعرفات يدعو ويداه إلى صدره - يعني رافعاً يديه - كاستطعام المسكين» ومن كثرة إلحاحه ﷺ ودعائه وانشغاله بالذكر والدعاء والإنابة والخشوع سقط زمام راحلته فأمسكه بإحدى يديه وهو رافع الأخرى.

ولم يزل ﷺ واقفاً منذ أن وصل إلى موقفه بعد الصلاة وبعد المسير من عرنة إلى الموقف حتى غربت الشمس ولم يمل ولم يتعب.

ويشرع استقبال القبلة حال الدعاء، ورفع اليدين، والإكثار من الدعاء والذكر، لقول النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» [رواه الترمذي].

وليكثر المسلم من ذكر الله - تعالى - لينال السبق: «سبق المفردون: الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»، ويكثر من قول سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن خيرٌ مما طلعت عليه الشمس، وإنهن ينفضن. الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها، وهن غراس الجنة، ويُغرس لك بكل كلمة منها شجرة في الجنة، وهن منجيات ومقدمات، وهي الباقيات الصالحات.

ويجتهد في الدعاء والرغبة إلى الله - عز وجل -، ويكثر من الذكر قائماً وقاعداً، ويكرره بخشوع وحضور القلب، ويهتم به، ويستفرغ الوسع فيه، ويواظب عليه، فلا يزال لسانه رطباً من ذكر الله - تعالى -، فما شيء أنجى

من عذاب الله من ذكر الله، فذكر الله - تعالى - خير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم. وليكثر الحاج من كلمة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فإنها الكلمة الطيبة، والقول الثابت والكلمة الباقية، والعروة الوثقى، وكلمة التقوى، وأفضل الأعمال، وأفضل ما قاله النبيون، وأفضل الذكر.

وليحرص الحاج على التضرع لله - تعالى -، والتذلل والخشوع، والضعف والخضوع، والافتقار والانكسار، وتفرغ الباطن والظاهر من كل مذموم، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وظلمها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه، ورحمته وجوده، وبره وغناه وحمده، وليكن في هذا الموقف حاضر الخشية، غزير الدمعة، فرقا من ربه - جل وعلا -، مخبتاً إليه - سبحانه - متواضعاً له، خاضعاً لجنابه، منكسراً بين يديه، يرجو رحمته ومغفرته، ويخاف عذابه ومقته ويحاسب نفسه، ويجدد توبة نصوحاً، وليخلص التوبة من جميع المخالفات مع البكاء على سالف الزلات، خائفاً من ربه - جل وعلا - مشفقاً وجللاً باكياً نادماً مستحياً منه - تعالى -، ناكس الرأس بين يديه، منكسر القلب له، يدخل على ربه - جل جلاله - من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه - عز وجل -، وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقه تامة، وضرورة كاملة إلى ربه - تبارك وتعالى -، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر، إلا

أن يعود الله - تعالى - عليه ويتداركه برحمته .

فإنه إذا فرغ القلب وطهر ، وطهرت الجوارح ، واجتمعت الهمم وتساعدت القلوب ، وقوي الرجاء ، وعظم الجمع ، كان جديراً بالقبول ، فإن تلك أسباب نصبها الله مقتضية لحصول الخير ، ونزول الرحمة ، وليجتهد أن يقطر من عينه قطرات فإنها دليل الإجابة وعلامة السعادة ، كما أن خلافه علامة الشقاوة ، فإن لم يقدر على البكاء فليتبأك بالتضرع والدعاء .

قال أبي بن كعب - رضي الله عنه - : عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من مخافة الله إلا تحاتت عنه خطاياه ، كما يتحات الورق اليابس عن الشجرة ، وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبداً ، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهد في خلاف سبيل وسنة .

ويلح في الدعاء ، لأنه يوم ترجى فيه الإجابة ، ويدعو ربه تضرعاً وخفية ، فالدعاء الخفي أعظم في الأدب والتعظيم للرب الكريم ، وأبلغ في الإخلاص ، وفي التضرع والخشوع ، ويجتهد في الذكر والدعاء هذه العشية ، فإنه ما روى إبليس في يوم هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أغيب ولا أدر من عشية عرفة ، لما يرى من تنزيل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما روى في يوم بدر .

فينبغي للمسلم أن يرى الله من نفسه خيراً ، وأن يهين عدوه الشيطان ويحزنه ويخزيه بكثرة الذكر والدعاء ، وملازمة التوبة والاستغفار من جميع الذنوب والخطايا .

ثم ليحسن الظن بالله - تعالى - ، وليقو رجاء القبول والمغفرة ، فإن الله - عز وجل - أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين ، وأجود الأجودين ، وأغنى

العالمين، عفو يحب العفو، غفور رحيم.
وينبغي للإنسان إذا لحقه ملل أو سامة، أن ينوع في العبادة، وينتقل من حالة إلى حالة، فتارة يقرأ القرآن، وتارة يهمل، وتارة يكبر، وتارة يسبح، وتارة يحمد، وتارة يستغفر، وتارة يدعو، أو يشتغل مع إخوانه بمداينة القرآن، أو بمداينة علم، أو في أحاديث تتعلق بالرحمة، والرجاء، والبعث والنشور والآخرة، حتى يلين ويرق قلبه.

وله أن يستريح بنوم أو نحوه، وربما يكون ذلك مطلوباً إذا كان وسيلة للنشاط، والإنسان طيب نفسه في هذا المكان، لكن ينبغي أن يغتنم آخر النهار بالدعاء ويتفرغ له تفرغاً كاملاً وليحرص أن يكون بعيداً عن حوله ليناجي ربه ويستعطفه ويرجوه.

قال عطاء بن أبي مسلم الخرساني: إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل.

أعمال هذا اليوم:

١ - السير إلى عرفة بعد طلوع الشمس.
٢ - النزول بنمرة إلى الزوال إن تيسر ذلك، وإلا فلا حرج؛ لأن النزول بها سنة.

٣ - صلاة الظهر والعصر جمعاً وقصراً (جمع تقديم) كما فعل النبي ﷺ؛ ليطول وقت الوقوف والدعاء.

٤ - يستحب للحاج في هذا الموقف أن يجتهد في ذكر الله - تعالى - ودعائه، والتضرع إليه، ويرفع يديه حال الدعاء، وإن لبي أو قرأ شيئاً من القرآن فحسن.

٥ - الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس.

٦ - الإحسان إلى الحجاج بأنواع البر والصلة، بسقي الماء وتوزيع الطعام.

تنبيهات على بعض المخالفات:

١ - الوقوف خارج حدود عرفة مع أنها محددة بأعلام واضحة، والوقوف بها ركنٌ لا يتمُّ الحجُّ إلا به. (وبطن عرنة ليس من عرفة).

٢- انصراف بعض الحجاج من عرفة قبل غروب الشمس، وهذا لا يجوز؛ لأنه خلاف السُّنة، حيث وقف النبي ﷺ حتى غربت الشمس، وغاب قرصها، ومن خرج من عرفة قبل الغروب ولم يرجع إليها فقد ترك واجباً من واجبات الحج ويلزمه فدية ذبيحة لفقراء الحرم.

قال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -: ومن الأخطاء التي يرتكبها الناس في الوقوف بعرفة: أن بعضهم يتسلل من عرفة قبل أن تغرب الشمس، فيدفع منها إلى مزدلفة، وهذا خطأ عظيم، وفيه مشابهة للمشركين الذين كانوا يدفعون من عرفة قبل غروب الشمس، ومخالفة الرسول ﷺ الذي لم يدفع من عرفة إلا بعد أن غابت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً، كما جاء في حديث جابر - رضي الله عنه - وعلى هذا فإنه يجب على المرء أن يبقى في عرفة داخل حدودها حتى تغرب الشمس، لأن هذا الوقوف مؤقت بغروب الشمس، فكما أنه لا يجوز للصائم أن يفطر قبل أن تغرب الشمس، فلا يجوز للواقف بعرفة أن ينصرف منها قبل أن تغرب الشمس.

٣ - التَّكْلُفُ بالذَّهاب للجبل، وصعوده، والتَّمسُّح به، واعتقاد أن له ميزة وفضيلة توجب ذلك، وهذا لم يرد عن النبي ﷺ.

٤ - استقبال بعض الحجاج الجبل (جبل الرحمة) ولو كانت القبلة خلف ظهورهم أو عن أيمنهم أو شمائلهم، وهذا خلاف السُّنة؛ لأن السُّنة

استقبال القبلة كما فعل النبي ﷺ.

٥ - الانشغال يوم عرفة بكثرة الحديث والضحك، والمزاح، والاستهزاء بمن هو رث الهيئة ضعيف الحال، والكلام الباطل، وترك الذكر والدعاء في ذلك الموقف العظيم.

قال الجريري: «أحرم أنس بن مالك - رضي الله عنه - فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله حتى حل، فسئل عن ذلك فقال: يا ابن أخي هكذا الإحرام». وقال ابن قدامة: «يستحب للمحرم أن يشتغل بالتلبية وذكر الله أو قراءة القرآن، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر، أو تعليم لجاهل أو يأمر بحاجته أو يسكت».

٦ - بعض الحجاج - هداهم الله - يحملون معهم آلات التصوير، وفي كل مشعر يأخذ له صوراً يسميها صوراً تذكارية، وهذا لا يليق بالحاج. ٧ - كثير من الحجاج في آخر العصر ينشغل بالرحيل مع العلم أنه أفضل وقت للدعاء، وهو وقت مباهاة الله بعباده.

٨ - اعتقاد حرمة قطع الشجر في عرفة، وعرفة ليست من الحرم، فلا يحرم قطع شيء من الأغصان أو أوراق الشجر، خصوصاً لمن أراد أن يستظل بها.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم، اللهم وجد علينا من جودك، وافض علينا من رحمتك، يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين، يا أجود الأجودين.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

٥ دعاء الحاج

الحمد لله مجيب دعوة المضطرين، وسامع صوت المنقطعين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الدعاء عبادة عظيمة لا يجوز صرفها لغير الله - عز وجل -، والدعاء إظهار الافتقار إلى الله - عز وجل - والتبرؤ من الحول والقوة، وهوسمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله - عز وجل -، وإضافة الجود والكرم إليه.

وفي الدعاء من الذل والانكسار لله - عز وجل - معنى عظيم من أنواع العبودية، وتخليص القلب وتفريغه من التعلق بغيره، والدعاء من أكرم الأشياء عند الله، وفي الدعاء ادخار الأجر والمثوبة عند الله إذا لم يجب الداعي في الدنيا وهذا أنفع وأحسن.

والله - تعالى - يحب من عباده دعاءه ورجاءه، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

قال ﷺ: «الدعاء هو العبادة» [رواه الترمذي].

ودعاؤه وحده - سبحانه - عبادة جليلة من أفضل العبادات، قال ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» [رواه أحمد]، ويقول ابن عباس - رضي الله عنه -: «أفضل العبادة الدعاء»، وإذا حلت بك الحوادث والكروب، وأغلقت في وجهك المسالك والدروب، ناد العظيم فإن من سأله أعطاه،

ومن لاذ به حماه يقول - عليه الصلاة والسلام - لابن عباس - رضي الله عنهما -: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» [رواه الترمذي].

ولا تستنكف عن سؤال ربك ما قلَّ من الأمور أو كثر، يقول النبي ﷺ: «سلوا الله كل شيء حتى الشَّسع إذا انقطع، فإنه إن لم ييسره الله لم ييسر» [رواه أبو يعلى].

وأما الميت والغائب فإنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن نفع غيره، والميت محتاج إلى من يدعو له كما أمرنا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ندعو لهم لا أن يستغاث بهم.

والحج من المواطن التي يُرجى فيها إجابة الدعاء، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله؛ دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم» [رواه ابن ماجة].

فألح على الله - تعالى - بالدعاء، لك ولأهلك ولأمتك، وتحرق أوقات الإجابة ومواطنها كعند الصفا والمروة ورمي الجمار وعند المشعر الحرام، وأجلها وأعظمها في يوم عرفة. وما أدراك ما يوم عرفة.. يوم يتنزل الرحمن جل جلاله وتقدست أسماؤه فيباهي بأهل الموقف ملائكته.

فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «ممن يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ماذا أراد هؤلاء؟» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»

[رواه الترمذي].

ويستحب عند الدعاء حضور القلب وعدم الغفلة، وأن يخفض صوته، وأن يسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ويشني عليه بما هو أهله، ويصلي ويسلم على رسول الله ﷺ ولا يتكلف السجع في الدعاء، وعليه بالأدعية الواردة في الكتاب والسنة، وأن يكون متوضئاً مع إظهار الافتقار والحاجة، والضعف والشكوى إلى الله - عز وجل -، ويسأله من جوده وفضله بقلب حاضر ونفس منقطعة إليه، وأمل ورجاء في الإجابة فإنه جواد كريم، بر رحيم.

ويستحب رفع اليدين حال الدعاء، عن أسامة بن زيد قال: «كنت رديف النبي ﷺ بعرفات فرفع يديه يدعو فمالت به ناقته فسقط خطامها، فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع الأخرى» [رواه النسائي].

وهذه جملة من الأدعية التي وردت في كتاب والسنة من باب تذكير الحاج بها:

أولاً: أدعية من القرآن الكريم:

* ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥ - ٦٦].

* ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

* ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [الحشر: ١٠٠].

* ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنين: ١١٨].

* ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١﴾﴾

[البقرة: ٢٠١].

* ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠١﴾﴾

[البقرة: ٢٨٦].

* ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٨٦﴾﴾ [آل عمران: ٨].

* ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٨٦﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٨٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٨٦﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨٦﴾﴾ [طه: ٢٥ - ٢٨].

* ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

* ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨٦﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٥ - ٨٦].

* ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧].

* ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٢٨٦﴾﴾ [الكهف: ١٠].

* ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿٢٨٦﴾﴾ [طه: ١١٤].

* ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٢٨٦﴾﴾ [المؤمنين: ٩٧].

* ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨٦﴾﴾ [المتحنة: ٥].

* ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨٦﴾﴾ [آل

عمران: ٣٨].

* ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

* ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

* ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

* ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

* ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

* ﴿رَبَّنَا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

* ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].

* ﴿رَبَّنَا أَمْنَا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

ثانياً: أدعية من السنة النبوية:

* «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر».

* «اللهم إنني أسألك الهدى، والتقى والعفاف والغنى».

* «اللهم إنني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهزم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

* «اللهم اهدني وسدّني، اللهم أسألك الهدى والسداد».

* «اللهم إنني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك،

وجميع سخطك».

* «اللهم إني عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي» .

* «اللهم مصرّف القلوب، صرّف قلوبنا على طاعتك» .

* «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» .

* «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة» .

* «اللهم إني أعوذ بك من فتنه النار، وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، وشر فتنه الفقر، اللهم إني أعوذ بك من شر فتنه المسيح الدجال، اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا، كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم إني أعوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم» .

* «اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء» .

* «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنه المحيا والممات» .

* «اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت، ومن شر ما لم أعلم» .

* «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت» .

* «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» .

* «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر مني» .

* «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء» .
 * «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي، وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك» .

* «اللهم أني أسألك من الخير كله: عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيت له لي خيراً» .

* «اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تئمت بي عدواً ولا حاسداً، اللهم أني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك» .

* «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متّعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوراث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا» .

* «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي» .

* «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة» .

* «رب أعني ولا تُعن عليّ، وانصرني، ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر

عليّ، واهدني ويسّر الهدى إليّ، وانصرني على من بغى عليّ، رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكراً، لك رهاباً، لك مطواعاً، إليك مخبتاً أواهاً منيباً، ربّ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدّد لساني، واسلّل سخيمة قلبي» .

* «اللهم ألهمني رشدي، وأعزني من شر نفسي» .

* «اللهم أني أسألك علماً نافعا، وأعوذ بك من علم لا ينفع» .

* «اللهم ربّ السموات السبع، ورب الأرض، وربّ العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذٌ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننا من الفقر» .

* «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» .

* «اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك وحسن عبادتك» .

* «اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد» .

* «اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء» .

* «اللهم إني أسألك الجنة وأستجير بك من النار» .

* «اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم» .

* «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً» .

* «اللهم إني أسألك علماً نافعا، ورزقا طيبا، وعملاً متقبلاً» .

* «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك

خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تُضِلّني، أنت الحي الذي لا

يموت، والجن والإنس يموتون» .

❖ «اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار» .

❖ «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زيننا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين» .

❖ «اللهم طهرني من الذنوب والخطايا، اللهم نقني منها كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد» .

❖ «اللهم متعني بسمعي، وبصري، واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من يظلمني، وخذ منه بثاري» .

❖ «اللهم إني أسألك عيشة نقية، وميتة سوية، ومرداً غير مخز ولا فاضح» .

❖ «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضنا وارض عنا» .

❖ «اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي» .

أخي الحاج: ارفع كفك بقلب حاضر وموقناً بالإجابة بما فتح الله به عليك من خير الدنيا والآخرة واسأله حاجاتك، وارفع إليه شكواك وأنت تعلم أن ربك حيٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه وكفيه أن يردهما صفراً خائبين .

أسأل الله الجواد الكريم البر الرحيم بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن
يستجيب دعاءنا، وأن يتقبل منا أنه سمع قريب مجيب، وصلى الله على
نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

٦ ليلة مزدلفة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن فضل الله عليك عظيم أن يسر لك الوقوف بعرفة، ذلك المشهد الذي يباهي به الله ملائكته، ثم توالى فضله عليك. فبعد أن غربت الشمس دفعت متوجهاً إلى مزدلفة.

وهذا كله تأسيساً بنينا محمد ﷺ، وفي حديث جابر - رضي الله عنه - مشهد لركب النبي ﷺ وهو يدفع عن عرفة إلى مزدلفة قال - رضي الله عنه -: «ودفع ﷺ وقد شق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى «يا أيها الناس السكينة السكينة».

ها هي القصواء ناقة النبي ﷺ يشنق لها ﷺ الزمام وكلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، وشنق لها الزمام يعني خنقه وضيقه وجذبه لكيلا تسرع حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ومورك الرحل هو الذي يضع الراكب رجله عليه إذا تعب أو ملّ من الركوب، وهو يقول للناس بيده اليمنى «يا أيها الناس السكينة السكينة» لأنه جرت عادة الناس منذ زمن طويل أنهم عند الدفع يندفعون ويسرعون يتبادرون النهار من جهة، ولأن الإنسان خلق من عجل وصفته العجلة، قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] فأصل إمداده وإعداده كله عجلة.

ثم قال جابر - رضي الله عنه - عن هذا السير المبارك: «وكلما أتى جبلاً

من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد» يعني إذا أتى دعثاً أو رملاً أرخى لها قليلاً حتى تصعد رافة بالبعير لأن لو شنتق لها الزمام وأمامها شيء مرتفع وفيه شيء من الدعث والرمل صعب عليها، فيرخي لها النبي ﷺ قليلاً حتى تصعد. فصلوات ربي وسلامه عليه ما أرحمه بأمرته وأحسن سيرته فيهم وانبل صفاته بينهم.

أعمال هذه الليلة:

- ١ - السَّير من عرفة إلى مزدلفة بعد مغيب الشَّمس بسكينة وخشوع.
- ٢ - صلاة المغرب والعشاء جمعاً وقصرًا في مزدلفة بأذان واحد وإقامتين قبل حطِّ الرِّحْل، فإن هدي النبي ﷺ البدء بالأذان ثم إقامة صلاة المغرب ثم العشاء حتى قبل الاستعداد للنزول.
- ٣ - المسارعة إلى النوم بعد الصلاة، وعدم الانشغال بشيء.
- ٤ - المبيت بمزدلفة وهو واجب، ويجوز للضعفاء من الرجال والنساء أن يدفعوا في آخر الليل بعد غياب القمر. وأمَّا من ليس ضعيفاً ولا تابعاً لضعيف فإنه يبقى بمزدلفة حتى يصلي الفجر؛ اقتداء برسول الله ﷺ.
- ٥ - صلاة الفجر مبكراً، ثم يقصد المشعر الحرام فيوحد الله، ويكبِّره ويدعو بما أحبَّ حتى يسفر جداً. وإن لم يتيسر له الذهاب إلى المشعر الحرام دعا في مكانه؛ لقول النبي ﷺ: «وقفت هاهنا، وجمع كلها موقف».
- ٦ - الانشغال بالدُّعاء إلى الإسفار جداً مع رفع اليدين.

تنبيهات على بعض المخالفات:

- ١ - تسرع كثيرٌ من الحجاج إلى صلاة المغرب والعشاء دون تحري جهة القبلة، وكذلك في صلاة الفجر، والواجب في هذا التحري لجهة القبلة أو سؤال من يظنُّ فيه معرفة جهة القبلة.

- ٢ - الاشتغال في مزدلفة بلبط الحصى قبل الصّلاة، مع أنّ الحصى يصح أخذه من منى أو غيرها.
- ٣ - عدم التّحري في المبيت داخل مزدلفة.
- ٤ - تأخير صلاة المغرب والعشاء إلى ما بعد نصف الليل، وهذا لا يجوز، وإن كان يخشى أن لا يصل مزدلفة إلا بعد نصف الليل فإنّه يُصلي، ولو قبل الوصول إلى مزدلفة.
- ٥ - انصراف الكثير من مزدلفة قبل نصف الليل، وتركهم المبيت بها، مع أنّه من واجبات الحج.
- ٦ - ترخّص الأقوياء في الخروج إلى منى قبل الصّبح مع أنّ الرخصة إنّما هي للضعفاء، أمّا غيرهم فقبيل طلوع الشمس.
- ٧ - إحياء الليل سواء بدرس أو حديث أو غيرها.
- ٨ - عدم الوقوف للدّعاء من بعد صلاة الفجر وعدم رفع اليدين.
- ٩ - بعض الحجاج يصلون الفجر قبل دخول وقتها، فتسمع بعضهم يؤذن قبل الوقت بساعة أو بأكثر أو أقل، فيؤذنون ويصلون وينصرفون، وهذا خطأ عظيم لأن للصلاة أوقاتاً محدّدة معلومة، فلا يجوز لأحد أن يتقدم بالصلاة قبل دخول وقتها، وعلى الحاج أن يتأكّد إن سمع الأذان أنه أذن بعد دخول الوقت.
- ١٠ - تأخير صلاة الفجر إلى قرب طلوع الشّمس أو صلاتها بعد طلوع الشّمس.
- ١١ - النّوم بعد صلاة الفجر وعدم استثمار هذا الوقت في الدّعاء والذكر.
- ١٢ - سرعة انصراف النّاس بسياراتهم مع مزاحمة الحجاج، ممّا يؤدي

إلى إيذاء أو حوادث.

١٣ - جمع حصى ليوم العيد، وأيام التشريق سبعين حصاة.

١٤ - غسل حصى الجمار.

وعلى الحاج أن يتذكر برمي الجمار تنفيذ الأوامر تحقيقاً للعبودية وإقتداء بالسنة، واعتياد الطاعة وعدم الأعراض على ما لا يدركه العقل من حكمة الشرع، وبذبح الهدى يتذكر إنفاذ إبراهيم - عليه السلام - أمر الله، وأن طاعة الله تغلب العاطفة المجردة وأن عاقبتها إلى خير.

اللهم أتم علينا حجنا وتقبله منا، واجعلنا من عبادك الصالحين، اللهم وفقنا لعمل الطاعات وترك المنكرات، اللهم واحيينا حياة طيبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

٧ اغتنام الأوقات

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،
والصلاة والسلام على خير الأنام، محمد بن عبدالله، وبعد:
فإن من الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله - عز وجل - في كل وقت
وخاصة هذه الأيام المباركة:

أولاً: الإكثار من قراءة القرآن: فإن القرآن كما وصفه الله - عز وجل -
هدى للممتقين ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].
وبه السعادة والنجاة ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩- ١٠].

وقد ورد في فضل قراءته وتعليمه الأجر العظيم، قال ﷺ: «خيركم من
تعلم القرآن وعلمه» [رواه البخاري].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة
بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»
[رواه الترمذي].

قال ابن القيم - رحمه الله -: «هجر القرآن أنواع: هجر سماعه والإيمان
به، وهجر العمل به، وهجر تحكيمه، وهجر تدبره، وهجر الاستشفاء به
في أمراض القلوب والأبدان».

فاحرص أخي المسلم على اغتنام هذه الأيام في قراءة القرآن، وليكن لك
في هذه الأيام المباركة ختمة أو ختمتان، وهذا يسير على من يسره الله عليه

وتستطيع أن تقرأ بعد الفجر وقبل وبعد الصلوات وفيما بينهما، فلا شغل لك هذه الأيام إلا العبادة.

ثانياً: الجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس: عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ «كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسناً» رواه مسلم.

وأخرج الترمذي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة» رواه الترمذي.

ثالثاً: الصدقة: وهذه من أبواب القربات المشروعة طوال العام وقد أجزل الله - عز وجل - العطية للمنفقين فقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَعًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]. وقد حث النبي ﷺ بالصدقة من القليل ووعد بالأجر الجزيل فقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم: «رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» [متفق عليه].

قال ابن القيم - رحمه الله -: وقد دل النقل والعقل والفطرة وتجارب الأمم - على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها - على أن التقرب إلى الله رب العالمين وطلب مرضاته والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله - تعالى - واستدفعت نقمه بمثل طاعته، والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه.

وقال رحمه الله: فإن للصدقة تأثيراً عجبياً في دفع البلاء ولو كانت من

فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله يدفع بها أنواعاً من البلاء، و هذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه .

وأعظم أنواع الصدقة على ذوي القرابة والرحم فإن الأجر مضاعف قال ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلّة» [رواه الخمسة].

ومما ينبه له المسلم وهو يعمل الأعمال الصالحة من حج وذكر وقراءة قرآن وصيام وصدقة وأضحية، أنه يقوم بها وهو يشعر بتقصيره في حق الله - عز وجل -، وأنه لو لم ييسره لهذا الخير لما قام به ولا عمل به، وأنه لن يدخل أحد الجنة بعمله وإنما برحمة الله - عز وجل - ومنه وفضله .

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فإن منزلته عظيمة ودرجته رفيعة، حتى عده بعض العلماء الركن السادس من أركان الإسلام، وقدمه الله - عز وجل - على الإيمان به - سبحانه - كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وقدمه الله - عز وجل - في سورة التوبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] . وفي هذا التقديم بيان لعظم شأن هذا الواجب وأهميته وحاجة الأمة إليه .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهام وأعمال الرسل، ومن صفات المؤمنين وخصال الصالحين، وهو من أسباب التمكين في الأرض، ومن

أسباب النصر، ومن أسباب دفع العقوبات وجلب الخيرات .
قال ﷺ: «من رأى منك منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» [رواه مسلم].

قال العلامة الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله - : «فلو قدر أن رجلاً يصوم النهار ويقوم الليل ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع هذا لا يغضب لله، ولا يتمعر وجهه، ولا يحمر، فلا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله، وأقلهم ديناً، وأصحاب الكبائر أحسن عند الله منه» .

فبادروا أيها المسلمون بالأعمال الصالحة وتقربوا إلى الله - عز وجل -
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق واللين .

خامساً: غُضُّ البصر عن الحرام: من نعم الله - عز وجل - التي أنعم بها علينا نعمة البصر، وهي نعمة لا تقدر بثمن، وقد أمر الله - عز وجل -
بغض النظر عن الحرام، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١] . وقال ﷺ: «النظر سهم مسموم» [رواه الحاكم].

إن النظر إلى ما حرم الله أصل كل فتنة، ومنجم كل شهوة، فالنظر هو رائد الشهوة ودليلها، وحفظه أصل حفظ الفرج . قال ﷺ لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : «يا علي؛ إن لك كنزاً في الجنة، فلا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة» [رواه أحمد].

فحافظ أخي المسلم على نظرك ولا تنظر بنعمة الله - عز وجل - إلى ما حرم عليك . بل استعن بهذه النعم العظيمة على طاعة الله - عز وجل -

وقراءة القرآن والتفكر في ملكوت السموات الأرض .

سادساً: حفظ الجوارح: ومن أهم الجوارح: اللسان فإن خطره عظيم كما قال ﷺ عند ما سئل عن أكثر ما يدخل النار؟ قال: «الفم والفرج» [رواه الترمذي].

وتأمل في حديث النبي ﷺ لتعلم خطورة اللسان وكيف يهوي بصاحبه: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيقلل خيراً أو ليصمت» [رواه مسلم].
فاحرص أخي المسلم على حفظ لسانك من الغيبة والنميمة وقول الزور والاستهزاء وفحش الكلام، واجعله ذاكراً لله - عز وجل - مسبحاً مستغفراً تفز بالأجر والمثوبة.

سابعاً: قيام الليل ولو بركعات قليلة: فقد أثنى الله - عز وجل - على أهل الجنة بصفات منها قيام الليل، وهي عبادة تصل القلب بالله، وتجعله قادراً على التغلب على مغريات الحياة، وعلى مجاهدة النفس في هذا الوقت الذي هو وقت نزول الرب - عز وجل - إلى سماء الدنيا.

وقيام الليل سنة مؤكدة حث عليها الرسول الله ﷺ بقوله: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله - تعالى - ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد» [رواه أحمد].

ومن ظن بنفسه القيام في الثلث الأخير من الليل فهو الأفضل، وإلا صلى وأوتر قبل أن ينام.

ثامناً: التوبة والإنابة إلى الله: من نعم الله علينا أن فتح باب التوبة، وجعله فجراً تبدأ معه رحلة العودة بقلوب منكسرة ودموع منسكبة وجباة

خاضعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ويقول ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» [رواه ابن ماجه والطبراني]. وهذا فضل من الله - عز وجل - ومنة على عباده.

فكن أيها المسلم قواماً على نفسك، وحاسبها وردها إلى جادة الصواب، واجعل لنفسك نصيباً من المراجعة والتفكير كل يوم وليلة فإن أمامك أهوالاً شديدة، وكن ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابين» [رواه أحمد والترمذي].

والحج فرصة للتوبة فإن الأعمار تفنى والآجال تطوى.

فسارع قبل أن يأتي يوم يندم فيه الإنسان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، واجعلنا ممن وفق لفعل الخيرات والبعد عن المنكرات.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، اللهم أعنا على أتمام حجتنا على الوجه الذي يرضيك عنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٨ يوم الحج الأكبر

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن مواسم الخير فرص عظيمة للتزود إلى الدار الآخرة، ونحن اليوم في
يوم الحج الأكبر، يوم النحر، اليوم العاشر من ذي الحجة، ويغفل عن هذا
اليوم العظيم كثير من المسلمين، مع أن بعض العلماء يرى أنه أفضل أيام
السنة على الإطلاق حتى من يوم عرفة، لقوله النبي ﷺ: «أعظم يوم عند
الله يوم النحر، ثم يوم القر» [رواه أبو داود والنسائي].

قال ابن القيم - رحمه الله -: خير الأيام عند الله يوم النحر، وهو يوم
الحج الأكبر، وقيل يوم عرفة أفضل منه، لأن صيامه يكفر سنتين، وما من
يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة، ولأنه - سبحانه وتعالى -
يدنو فيه من عباده، ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف.

والصواب: القول الأول لأن الحديث الدال على ذلك لا يعارضه شيء،
وسواء كان هو الأفضل أم يوم عرفة فليحرص الحاج على إدراك فضله،
وانتهاز فرصته في أداء المناسك وأنواع العبادة الأخرى.

أعمال هذا اليوم:

- ١ - الدفع من مزدلفة إلى منى قبل طلوع الشمس بسكينة وخشوع.
- ٢ - يستحب الإسراع عند المرور بوادي محسر إن تيسر ذلك.
- ٣ - الانشغال بالتلبية حتى يصل جمرة العقبة، ثم يقطع، ويجعل منى

- تقرأ في اليوم العاشر في منى.

عن يمينه والبيت عن يساره، ويرمي جمرة العقبة بسبع حصياتٍ متعاقباتٍ، يرفع يده عند كل حصاة، ويكبر، ويحرص الحاجُّ على أن يقع الحصى في الحوض.

٤ - ذبح الهدي، ويستحب أن يباشره الحاجُّ إن تيسر، كما فعل النبي ﷺ ويقول عند ذبحه: «بسم الله، والله أكبر، اللهم هذا منك ولك». ويوجَّهه إلى القبلة.

٥ - يحلق شعر رأسه أو يقصر والحلق أفضل، ولا يكفي تقصير بعض شعر الرأس، بل لابد من تقصيره كله كالحلق، والمرأة تقصر من كل ظفيرة قدر أملة.

٦ - بعد رمي جمرة العقبة والحلق أو التقصير يباح للمحرم كل شيء حرَّم عليه بالإحرام إلا النساء. ويسمَّى هذا التحلل الأول.

٧ - يسنُّ له بعد هذا التحلل التنظف والتطيُّب والتَّوجُّه إلى مكة؛ ليطوف طواف الإفاضة، ويسمَّى هذا الطَّواف (طواف الزيارة)، وهو ركنٌ لا يتمُّ الحجُّ إلا به، وبعده يحلُّ له كل شيء حتى النساء.

٨ - السَّعي بين الصَّفا والمروة للمتمتع والمفرد والقارن الذي لم يسع مع طواف القدوم.

٩ - إن قَدَّمَ النحر على الرمي أو الطواف عليهما، أو الحلق أجزاء ذلك، فيفعل الحاجُّ الأوفق به، وإن كان الأفضل الرمي، ثم الذبح، ثم الحلق، ثم الطواف.

تنبيهات على بعض المخالفات:

١ - من المخالفات رمي الجمرات في أيام التشريق قبل الزوال، قال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -: «وهذا خطأ كبير، لأن رميها قبل

الزوال رمي لها قبل دخول وقتها، فلا يصح، لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد» وقد ثبت أن النبي ﷺ لم يرمها إلا بعد زوال الشمس، وإنما رماها بعد الزوال وقبل صلاة الظهر مما يدل على أنه ﷺ كان يرتقب الزوال ارتقاباً تاماً، فبادر من حيث أن زالت الشمس قبل أن يصلي الظهر، ولقول عبدالله بن عمر: كنا نتحين فإذا زالت الشمس رمينا، ولأنه لو كان الرمي جائزاً قبل زوال الشمس لفعله النبي ﷺ لأنه أيسر للأمة، والله عز وجل - إنما يشرع بعبادة ما كان أيسر، فلو كان مما يتعبد به الله - اعني الرمي قبل الزوال - لشرعه الله - سبحانه وتعالى - لعباده، لقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فلما لم يُشرع قبل الزوال علم أن ما قبل الزوال ليس وقتاً للرمي، ولا فرق في ذلك بين اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، كلها سواء، كلها لم يرم فيها النبي إلا بعد زوال الشمس، فليحذر المؤمن من التهاون في أمر دينه، وليتق الله - تعالى - ربه، فإن من اتقى ربه جعل له مخرجاً ومن اتقى ربه جعل له من أمره يسراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُومُوا لِلَّهِ لَجَلَمٌ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩] .

٢ - رمي الجمار من بعيد، وعدم التأكد من وصولها إلى الشاخص أو الحوض.

٣ - توكيل بعض الأقوياء في الرمي مع أن التوكيل إنما ورد عن الضعفاء ونحوهم.

٤ - رمي الجمرة بالنعال والحجارة الكبيرة ونحوها.

٥ - القول مع كل جمرة اللهم اغضاباً للشيطان وإرضاءً للرحمن.

٦ - الوقوف للدعاء عند جمرة العقبة.

- ٧ - رمي جمرة العقبة من خلفها .
 ٨ - اعتقاد أنَّ الشَّيْطَان عند الجمرات ، وتسمية بعض الحجاج له شيطاناً كبيراً وشيطاناً صغيراً .
 ٩ - بعض الحجاج - هداهم الله - في يوم العيد يحلقون لحاهم ظناً أن ذلك من الزينة ، وهذه معصية في وقتٍ ومكانٍ فاضل .
 ١٠ - تعريض الهدي بعد ذبحها إلى الإِتْلَاف مع أنَّه يمكن نقلها إلى الضعفاء .

- ١١ - ابتداء الطواف قبل الحجر الأسود ، والواجب الابتداء به .
 ١٢ - الرَّمْل والاضطباع في طواف الإفاضة والوداع ، وإنَّما الذي شَرِعَ هو في طواف القدوم .

- ١٣ - المزاحمة الشَّديدة للوصول إلى الحجر ؛ لتقبيله حتى إنه يؤدي في بعض الأحيان إلى المقاتلة ، والمشاحنة ، والأقوال المنكرة التي لا تليق بهذا العمل ولا هذا المكان . والله - تعالى - يقول : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .
 وإذا كان هناك مزاحمة شديدة ، فإن الإشارة أفضل من الاستلام لأنه هو العمل الذي فعله الرسول ﷺ عند الزحام .

- ١٤ - اعتقاد البعض أنَّ الحجر نافعٌ بذاته ، ولذلك تجدهم إذا استلموه مسحوا بأيديهم على بقية أجسادهم ، وهذا جهلٌ وضلالٌ فالنَّافع هو الله وحده ، وعمر - رضي الله عنه - عندما استلم الحجر قال : «إني لأعلم أنَّك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع ولولا أنَّي رأيت رسول الله ﷺ يقبلُك ما قبلتك» .

- ١٥ - استلام بعض الحجاج لجميع أركان الكعبة ، وربما استلموا جدرانها

وتمسحوا بها، وهذا لا يصح، فإنَّ الاستلام عبادةٌ وتعظيمٌ لله - عزَّ وجلَّ -، فيجب الوقوف فيه على ما ورد؛ لأنَّ الوارد عن النَّبي ﷺ أنَّه لم يستلم من البيت سوى الرُّكن اليماني والحجر والأسود.

١٦ - تقبيل الرُّكن اليماني، وهذا خطأ فالركن يستلم باليد.

١٧ - تخصيص كلِّ شوطٍ بدعاء معين لا يدعو فيه بغيره.

١٨ - الدُّعاء الجماعي، وهذا من البدع حيث لم ينقل عن النَّبي ﷺ ولا الصَّحابة - رضي الله عنهم -.

وكذلك رفع الصوت رفعاً مزعجاً، يذهب الخشوع، ويسقط هيبة البيت، ويشوش على الطائفين، والتشويش على الناس في عباداتهم أمر منكر.

١٩ - الصَّلاة خلف المقام مباشرة مع وجود الزحام الشديد، ويمكن أن يصلي في أي موضع من الحرم.

٢٠ - تطويل القراءة في سنة الطَّواف، ثم رفع اليدين والدعاء بعدها، وهذا مخالف لسنة النَّبي ﷺ.

٢١ - طواف بعض الحجاج جماعاتٍ متشابكين فهذا فيه مضايقةٌ شديدةٌ لعباد الله.

٢٢ - الطَّواف حول الكعبة من داخل حجر إسماعيل، لأنه حينئذ لا يكون قد طاف بالكعبة، وإنما طاف ببعضها؛ لأن الحجر من الكعبة، وبذلك يبطل طوافه.

٢٣ - حمل المناسك أو كتاب الأدعية الخاص بكلِّ شوطٍ، فالمسلم يدعو بما شاء.

٢٤ - الجمع بين الصَّلوات في منى.

٢٥ - ترك المبيت بمنى.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وجد علينا بمنك وكرمك، اللهم
وافض علينا من رحمتك ولطفك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم
على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

٩ التوحيد أولاً

الحمد لله لا معبود بحق سواه، والصلاة والسلام على خير خلق الله، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

قريش أناس يتعبدون، ويحجون، ويعتمرون، ويتصدقون، ويصلون الرحم، ويكرمون الضيف، ويذكرون الله كثيراً، ويعترفون أن الله وحده هو المتفرد بالخلق والتدبير، ويخلصون لله العبادة في الشدائد، لكنهم يتخذون وسائط بينهم وبين الله؛ يدعونهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويستغيثون بهم؛ ليشفعوا لهم ويسألون الله لهم، زعماء أنهم أقرب منهم إلى الله وسيلة؛ فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم - عليه السلام - ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، وأن فعلهم هذا أفسد جميع ما هم عليه من العبادة، وصاروا بذلك كفاراً مرتدين حلال الدم والمال، وقتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله.

وقد قسم العلماء - رحمهم الله - التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الربوبية: وهو العلم والإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون، قال عز وجل: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وقد فطر الله جميع الخلق على الإقرار بربوبيته؛ حتى إن المشركين الذين جعلوا له شريكاً في العبادة يُقرون بتفرده بالربوبية، قال - تعالى -: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾

[الزخرف: ٩].

الثاني من أقسام التوحيد: توحيد الأسماء والصفات: وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال ونعوت الجلال، من غير تكيف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل. قال - عز وجل -: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الاعراف: ١٨٠].

وقال - تعالى -: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] وكل اسم من أسماء الله فإنه يتضمن صفة من صفاته، فالعليم يدل على العلم، والحكيم يدل على الحكمة، والسميع البصير يدلان على السمع والبصر. وهكذا كل اسم يدل على صفة من صفات الله - تعالى -.

وقد أخبر - سبحانه - أن له وجهاً، فقال - تعالى -: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يدين، قال - تعالى -: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأهل السنة والجماعة من السلف الصالح وأتباعهم يثبتون أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة على ظاهرها، وما تدل عليه ألفاظها من المعاني، ولا يؤولونها عن ظاهرها، ولا يحرفون ألفاظها ودلالاتها عن مواضعها، وينفون عنها مشابهة صفات المخلوقين، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الثالث من أقسام التوحيد: توحيد الإلهية: وهو أفراد الله بالعبادة؛ ويتعلق بأعمال العبد وأقواله الظاهرة والباطنة، كالدعاء، والنذر، والنحر، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والإنابة، وهذا النوع من التوحيد هو أول دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿النحل: ٣٦﴾.

وأقسام التوحيد الثلاثة متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمتى أتى المرء بنوع ولم يأت بالآخر لم يكن موحدًا.

والله - عز وجل - خلق الثقلين الجن والإنس لحكمة عظيمة، وهي عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، قال - تعالى - : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: يوحدون، وفي الآية بيان عظم شأن التوحيد، إذ كان الخلق كلهم لم يخلقوا إلا له.

وأمر الله الناس بعبادته وحده لا شريك وترك ما سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال ابن القيم: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

فالمعبود كالأصنام، والمتبوع كالكهان والسحرة، والمطاع كالأمراء إذا أمروا بمعصية الله.

في الآية بيان عظم شأن التوحيد، وإقامة الحجة على العباد، فمن عبد الله ولم يكفر بالطاغوت فليس بموحد، وما أكثر الجهل بذلك في هذا الزمان، فمن يعبد الله وهو لا يعتقد بطلان عبادة القبور فهو غير موحد. وقال - تعالى - في سورة النساء: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

أمر من الله - سبحانه - لعباده بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه، وهو المستحق منهم أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً، وقرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه، فدلّت على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة، فأعمال

العبد من صلاة وزكاة واستغفار وغير ذلك لا تقبل إلا إذا وحد الله - سبحانه وتعالى - وأفرده بالعبادة.

أيها المسلمون: التوحيد أوجب الواجبات وأعظم العبادات، رتب الله لمن حققه الثواب العظيم والأجر الجزيل في الدنيا والآخرة.

قال - سبحانه وتعالى - في سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، أي أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يخلطوا توحيدهم بشرك، ولبس الشيء بالشيء: تغطيته به وإحاطته به من جميع جهاته، ولا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر.

ثم ذكر - عز وجل - ما أعد لعباده المخلصين من الجزاء: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، ولما نزلت هذه الآية شق على أصحاب رسول الله ﷺ، ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فقالوا: يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فبين ﷺ أن من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان أيضاً من أهل الإصطفاء في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

فالموحد في دخول الجنة على أحد أمرين:

إما أن يلقي الله سالماً من جميع الذنوب فيدخل الجنة من أول وهلة.

أو أن يلقي الله وهو مصر على ذنب دون الشرك فهو تحت المشيئة، إن

شاء - سبحانه - عفا عنه بفضلله وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بعدله ثم أدخله الجنة.

وللبخاري ومسلم من حديث عتبان: «فإنه حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

من تلفظ بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ولم يعمل بها لم تنفعه، وقد حرم الله - عز وجل - على النار من أتى بها مخلصاً من قلبه ومات على ذلك، كما دل عليه حديث عتبان - رضي الله عنه - الذي قيّد حديث عبادة المطلق، بقوله: «يبتغي بذلك وجه الله».

ولا بد في شهادة (أن لا إله إلا الله) من سبعة شروط؛ لا تنفع قائلها إلا بإجماعها.

أحدها: العلم؛ أي العلم بمعناها المراد منها وما تنفيه وما تثبته، وهو العلم المنافي للجهل بذلك.

الثاني: اليقين؛ بأن يكون قائلها مستيقناً بما تدل عليه، فإن كان شاكاً بما تدل عليه لم تنفعه.

الثالث: القبول؛ لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه.

الرابع: الانقياد؛ لما دلت عليه، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢]. والعروة الوثقى: لا إله إلا الله، ومعنى يُسلم وجهه أي: ينقاد لله بالإخلاص له.

الخامس: الإخلاص؛ وهو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك، بأن لا يقصد بقولها مطامع الدنيا ولا رياء ولا سمعة.

السادس: الصدق؛ وهو أن يقول هذه الكلمة مُصدقاً بها قلبه.

السابع: المحبة؛ لهذه الكلمة، ولما تدل عليه، ولأهلها العاملين بمقتضاها.

وركننا كلمة التوحيد: النفي والإثبات، نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها لله وحده.

وفي الحديث الذي رواه ابن حبان، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ، قال: «قال موسى - عليه السلام -: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفه، ولا إله إلا الله في كفه، مالت بهن لا إله إلا الله».

طلب موسى - عليه السلام - من ربه أن يُعلمه ذكراً يُثني عليه، ويتوسل إليه به؛ فأرشده ربه إلى قول (لا إله إلا الله) إذ هي أفضل الأذكار وأعظمها معنى، ولأجلها خلق الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، فهي ذكر ودعاء.

وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) عظيمة المعنى ثقيلة الوزن، ولكنه يختلف وزنها بحسب من صدرت عنه.

فالمنافق يتلفظ بها، ولكنها لا تزن عند الله شيئاً لأنه كاذبٌ في قولها. والمؤمن يتلفظ بها؛ ولها وزن عظيم عند الله لصدقه مع الله فيها؛ فلو وضعت السموات السبع ومن فيهن من العمار غير الله، والأرضين السبع وما فيها في كفة الميزان؛ (ولا إله إلا الله) في الكفة الأخرى لرجحت بهن هذه الكلمة.

وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك وتوحيد الله الذي هو أفضل الأعمال وأساس الملة والدين، ولما يجتمع لقائلها من الذكر والدعاء، وما

يحصل له من تكفير الذنوب والخطايا؛ فمن قالها بإخلاص ويقين، وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها واستقام على ذلك دخل الجنة، فإن هذه الحسنة لا يوازنها شيء.

و(لا إله إلا الله)، لا تنفع قائلها إلا بعد معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، والسلامة مما يناقضها.

قيل للحسن البصري - رحمه الله - أن أناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة؟! فقال: من قالها وأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه - رحمه الله - لمن قال له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى؛ ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.

وللترمذي وحسنه، عن أنس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله - تعالى -: يا ابن آدم؛ إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة».

أي: ثم مت حال كونك لا تشرك بي شيئاً، وهذا شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره، ولا يسلم من ذلك إلا من أتى الله بقلب سليم.

«وقراب الأرض» أي: ملء الأرض، فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، فإن أكمل العبد توحيده وأخلصه لله وقام بشروطه أوجب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب، ومنعه من دخول النار، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب ولو كانت قراب الأرض، وفيه سعة كرم الله وجوده وكثرة ثواب التوحيد وتكفيره الذنوب.

وما لم يتحقق التوحيد وإخلاص العبادة وتمام الخضوع والانقياد والتسليم، فلا تقبل صلاة ولا زكاة، ولا يصح صوم ولا حج، ولا يزكو أي عمل يُتقرب به إلى الله، قال - سبحانه - : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال - تعالى - : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وإذا لم يتحقق التوحيد ويصدق الإخلاص فلا تنفع شفاعة الشافعين، ولا دعاء الصالحين، حتى ولو كان الداعي سيد الأنبياء محمداً ﷺ، اقرءوا إن شئتم : ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

اللهم أرحم ضعفنا واجبر كسرنا وتول أمرنا، واعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

١٠ من حق التوحيد دخل الجنة

الحمد لله المتوحد بألوهيته وربوبيته وأسماء وصفاته، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

دل الكتاب والسنة على أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، فإنه لا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه؛ وتحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد، وتحقيقه على نوعين، واجب ومندوب:

فالواجب تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي وهذا مقام أصحاب اليمين؛ وهم الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات، فالشرك الأكبر ينافيه بالكلية، والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، والبدع تقدر في التوحيد، والمعاصي تنقص ثوابه، فلا يكون العبد محققاً للتوحيد حتى يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي.

والمندوب: تحقيق المقربين، فأضافوا إلى ما تقدم فعل المستحبات وترك المكروهات، وبعض المباحات؛ وهذا مقام السابقين المقربين، وحقيقته هو انجذاب الروح إلى الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره، فإذا حصل تحقيقه بما ذكر، فقد حصل الأمن التام، والاهتداء التام.

وهناك من الناس من يظن أن التشديد في أمر التوحيد يختص بفئة من العلماء قالت بذلك، وقد رد عليهم الشيخ عبدالله أبابطين - رحمه الله - بقوله: قولكم: إن الشيخ تقي الدين ابن تيمية شدد في أمر الشرك تشديداً لا مزيد عليه، فالله - سبحانه - هو الذي شدد في ذلك، لقوله - سبحانه - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] في موضعين من كتابه، وقال على

لسان المسيح لبني إسرائيل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال الله - تعالى - لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال - سبحانه -: ﴿فَأَقْضُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

وفي السُّنة الثابتة عن النبي ﷺ من التحذير عن الشرك والتشديد فيه ما لا يُحصى، وغالب الأحاديث التي يذكر فيها ﷺ الكبائر يبدأها بالشرك، ولما سُئل ﷺ: أي الذنوب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

والعقيدة - عباد الله -، يُخاطَبُ بها المؤمنون ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ءَالِكِتِبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالِكِتِبِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، وليطمئنوا إلى تحقيق دينهم وليحذروا النقص أو الخلل فيه؛ بل لقد خاطب الله أنبياءه ورسله بنبذ الشرك والبراءة منه ومن أهله - وحاشاهم أن يفعلوا ذلك - فقال جل وعلا: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦] وقال - عز وجل - لصفوة خلقه محمد ﷺ: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصاص: ٨٧] وقال له أيضاً: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقد ذكر الله - عز وجل - إبراهيم - عليه السلام - بصفات عالية هي الغاية في تحقيق التوحيد، فقال - عز وجل -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا

لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ [النحل: ١٢٠].

منحرفاً عن الشرك إلى التوحيد، مقبلاً على الله، معرضاً عن كل ما سواه، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ فارقهم بالقلب واللسان والبدن، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك، وما ذاك إلا من أجل تحقيقه التوحيد، بل ضم إلى ذلك البراءة من المشركين، وعاب ما كانوا عليه وكفرهم، كما قال الله عنه ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] فترا من العابد قبل المعبود، وضم إلى ذلك أن اعتزلهم، فلم يكن منهم بأي اعتبار كان، قال - تعالى - : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] فهذا هو تحقيق التوحيد، وقد وصف الله عز وجل خليله بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد، وقد أمرنا بالتأسي والافتداء به؛ فقال - تعالى - : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].

وقد صف - جل وعلا - المؤمنين السابقين إلى الجنة وأثنى عليهم بصفات حميدة، ومناقب عزيزة؛ فقال - تعالى - عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِقَايَةِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿١٢٣﴾ لا يعبدون معه غيره، بل يوحّدونه، ويعلمون أنه لا إله إلا هو الأحد الصمد، ومن كان كذلك فقد بلغ النهاية من تحقيق التوحيد الموجب لدخول الجنة بغير حساب، ومن لا فلا؛ وذلك لأن الأعمال من حيث هي لا تصح مع الشرك الأكبر، فإن سلم من الأكبر فإن الأعمال لا تزكو ولا تنمو إلا بالسلامة من الشرك الأصغر.

وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ، قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ

النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عكاشة».

ودخول هؤلاء الجنة بدون حساب لتحقيقهم التوحيد فهم: «لا يسترقون» أي: لا يطلبون من يرقهم لقوة توكلهم على الله، ولعزة نفوسهم عن التذلل لغير الله.

وفي رواية لمسلم: «ولا يرقون» قال شيخ الإسلام: هذه الزيادة وهم من الراوي، لم يقل النبي ﷺ: «ولا يرقون» وقد سئل ﷺ عن الرقي فقال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» وقال: «لا بأس بالرقي إذا لم تكن شركاً» وقد رقى جبريل النبي ﷺ، ورقى النبي ﷺ أصحابه.

والفرق بين الراقي والمسترقى: أن المسترقى سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي مُحسن، وإنما المراد وصف السبعين ألفاً بتمام التوكل، فلا يسألون غيرهم أن يرقهم.

وقوله: «ولا يكتون» أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم، كما لا يسألون غيرهم أن يرقهم، وهي أعم من أن يسألوا ذلك أو يُفعل بهم باختيارهم،

والكي في نفسه جائز، كما في الصحيح عن جابر أن النبي ﷺ بعث إلى أبي ابن كعب طبيباً فقطع له عرقاً وكواه، وكوى أنس من ذات الجنب، والنبي ﷺ حي [رواه البخاري].

والاسترقاء والاكتواء جائزان، ولكن تركهما أفضل وأكمل في تحقيق التوحيد.

ثم قال ﷺ: «ولا بتطيرون»: أي: لا يتشاءمون بالطيور ولا بالشهور ونحوها، قال ﷺ: «الطيرة شرك» [رواه أبو داود].

«وعلى ربهم يتوكلون» أي: يعتمدون على الله وحده لا شريك له في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب المشروعة.

والحديث لا يدل على أن المحققين للتوحيد لا يباشرون الأسباب، وإنما المقصود أنهم يتركون الأمور المكروهة، كالاكتواء، والاسترقاء، مع حاجتهم إليها لكمال توكلهم على الله - عز وجل -.

أما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيها؛ كأن يرقى الإنسان نفسه، أو يستشفى بالعسل أو الحبة السوداء، أو نحو ذلك، فليس تركه مشروعاً لقوله ﷺ: «تداووا فإن الله - تعالى - لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله» [رواه أحمد].

هؤلاء الموحدون تركوا الشرك رأساً، ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها، وتركوا الكي وإن كان يراد للشفاء؛ والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله، وتفويض أمورهم إليه، وثقتهم به، ورضاهم عنه، وصدق الالتجاء إليه، وإنزال حوائجهم به - سبحانه وتعالى - والاعتماد بالقلب الذي هو نهاية تحقيق التوحيد، وهو الأصل الجامع، الذي تفرعت عنه تلك الأفعال والخصال، والحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون

الأسباب أصلاً، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلًا على الله كالإكتواء والإسترقاء، وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه فغير قاذح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعاً لما في الصحيحين: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، عَلمه من عَلمه، وجَهِله من جَهِله» وأخرج أحمد: «يا عباد الله: تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد» قالوا: ما هو؟ قال: «الهرم». قال ابن القيم - رحمه الله -: وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، والأمر بالتداوي، وأنه لا يُنافي التوكل، كما لا ينافيه دفع ألم الجوع والعطش، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب، وتعطيها يقدح في التوكل، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزاً.

اللهم اجعلنا من الموحدين، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

١١ العبودية

الحمد لله لا معبود بحق سواه، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

أعظم أمر في الإسلام الأمر بالتوحيد، وأعظم نهْي فيه النهْي عن ضده، سئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وقد خلقك» [متفق عليه].

ودعوة الرسل متفقة على الأمر بإفراد الله وحده وبالعبادة، والتحذير من الشرك، أو الوقوع في حماه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ومن لازم عبادة الله كما أمر - جل وعلا - أَمِنَ في نفسه وماله وولده وداره. وَأَمِنَ في قبره وفي يوم الحشر والحساب قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والتوحيد الحق محصن للذنوب ومأخوذ للخطايا، مانع من ولوج النار، قال عليه الصلاة والسلام: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» [متفق عليه].

ومن حقق التوحيد الواجب والمستحب دخل الجنة بغير حساب، وقد أخبر النبي ﷺ عن وصفهم بقوله: «هم الذين لا يسترقون»، ولا يكتون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» [متفق عليه]، فأفئدتهم متعلقة بالله وقلوبهم مفروضة أمورها له.

والشرك وباله وخيم، يحبط العمل ويسخط الرب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر: ٦٥] وقال ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار» [رواه البخاري].

بل إنه يوجب الخلود في النار، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومن دعا غير الله فقد ظلم نفسه ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، ومن جثا عند صنم أو خضع لقبر يرجو نفعه فقد طلب محالاً وحسب السراب ماءً ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [الاحقاف: ٥ - ٦].

ودعاء الأموات وسؤالهم الحوائج نداء لا يُسمع وكربات لا تُفرج، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [إن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

والغلو في الأموات والصالحين سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم، وقد حذّر منه المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» [رواه النسائي].

وشر الخلق من عكف على القبور ودعاها من دون الله، قال - عليه الصلاة والسلام - لأُم سلمة - رضي الله عنها -: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله» [متفق عليه].

عباد الله: الإخلاص تاج العمل؛ ومن أشرك مع الله غيره فالله أغنى

الأغنياء عن الشرك ولا يرضى لعباده الكفر، فيأويح المرائين لا للدنيا جمعوا ولا للآخرة عملوا، يقول النبي ﷺ: «المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبَي زور» [رواه البخاري].

وعلى كلمة الإخلاص والملة أقام المصطفى ﷺ دعوته وجعلها إبراهيم - عليه السلام - باقية في عقبه، وما نطق الناطقون أحمداً من لا إله إلا الله، العمل بها ثمن الجنة، لو وزنت بالسموات والأرض لرجحت بهن، قال ابن عيينة - رحمه الله -: «ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله» هذا وإن نطق اللسان بها لا يُجدي إلا لمن عرف مدلولها نفياً وإثباتاً، وحقق شروطها بالعلم واليقين بمعناها، والإخلاص والصدق بالعمل بها، والمحبة والانقياد والقبول لما دلت عليه، والكفر بما يعبد من دون الله.

والتوحيد والشرك ضدان لا يجتمعان كالليل والنهار فمتى وجد الشرك انتفى الإيمان.

أخي الحاج: من أجل التوحيد بُني بيتُ الله العتيق، تتعاقب الأجيال على حجه، ويتنافس المسلمون في بلوغ رحابه، ففي جواره الإيمان وفي رحابه الأمن والاطمئنان ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦].

وفي شعائر الحج نفى الشريك عن الله «ليك لا شريك لك لبيك»، وخيرُ دعاء يوم عرفة رفعُ التوحيد، يقول النبي ﷺ: «خير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» [رواه الترمذي].

والتوحيد الخالص هو لبابُ الرسالات السماوية كلها، وأساس الملة، وهو

الحقيقة التي علينا أن نغار عليها ونصونها من كل شائبة، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ولا غرو في ذلك - أيها المسلمون - إفراد الله بالعبادة أصل الدين وملاك الأمر، عليه نصبت القبلة وأسست عليه الملة، إنه أول أمر في كتاب الله والنهي عن الشرك أول نهى في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] ﴿البقرة: ٢١ - ٢٢﴾.

والدخول في دين الله لا يصح إلا بإعلان وحدانية الله، وهو آخر ما يخرج به المسلم من الدنيا، يقول النبي ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» [رواه مسلم].

الوقوع في ضده أعظم من قتل الأولاد، يقول ابن مسعود - رضي الله عنه - : سألت رسول الله ﷺ أي الذنب عند الله أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» [رواه البخاري].

لذا تأكد النهي عن الشرك في القرآن وتكرر الأمر بالتوحيد، أبدى الله فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال.

والأمر بعبادة الله أول دعوة الرسل، بدأ الخليل دعوته لأبيه بذلك ﴿يَتَأْتِيَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢] ودعا نبينا محمد ﷺ الناس إلى التوحيد عشر سنين قبل فرض الفرائض تعظيماً لشأنه، وأرشد الدعاة إلى أن يكون الأمر بالتوحيد أول دعوتهم، يقول النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول

ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، وإمام الموحدين إبراهيم - عليه السلام - دعا ربه بقوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن من البلاء بعد إبراهيم؟!

ولقد وصى الأنبياء بينهم بالثبات على الدين الصحيح والعقيدة الصافية حتى الممات ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] وعنه سأل الأنبياء ذرياتهم وهم على فراش الموت: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وخاطب بها أيضاً أهل الضلالة لیسلكوا طريق الهدى فقال جل شأنه: ﴿قُلْ يَتَاهُلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

لقد من الله علينا بدين موافق للفطر القويمة والعقول السليمة، صالح لكل زمان ومكان، جامع بين العلم والعبادة، وبين القول والعمل والاعتقاد، لا يقبل الله من الخلائق ديناً سواه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] في هذا الدين كلمة من قالها صادقاً من قلبه وعمل بمقتضاها مبتغياً بذلك وجه الله دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، لا إله إلا الله هي أطيب الكلام، وأفضل الأعمال، وأعلى شعب الإيمان، من قالها حقاً ارتقى إلى أرفع منازل الدين، والنطق بها لا يكفي للدخول في الإسلام أو البقاء عليه بل يجب مع ذلك أن يكون المسلم عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحداية

لله معتقداً صحة ما تضمنته واقتضته، والمسلم صادق في إيمانه، وعقيدته مستسلم لله في الحكم والأمر والشرع والقدر، لا ينزل حوائجه إلا بالله، ولا يطلب تفريج كربيه إلا منه - سبحانه - قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وربنا - سبحانه - متصف بالسمع والبصر، ومن القدر في ربوبيته والتنقص لألوهيته: أن تجعل بينك وبينه وسائط في الدعاء والمسألة وهو القائل: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وما يناقض كلمة الإخلاص إراقه الدماء لغير الله: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣] لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [٤] [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

اللهم وفقنا لطاعتك، وجنبنا معصيتك، اللهم تقبل حجتنا وصالح أعمالنا، واغفر لنا ولوالدينا، وجميع المسلمين يا أرحم الراحمين.

١٢ من أنواع الشرك

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الطواف بالبيت العتيق عبادة متضمنة للذل والخضوع لرب البيت ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين ﴿[الحج: ٢٩] والطواف لغير الله من الأضرحة والقبور موجب للحرمان من الجنة، والحلف بالله صدقاً في مواطن الحاجة من تعظيم رب العالمين، والحلف بغيره استخفاف بجناب الباري - جل وعلا - لذلك يقول النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» [رواه الترمذي].
والذبح لله عبادة له وحده، والذبح لغيره شرك؛ فالله ربك الذي خلقك وهو الذي رزقك الحيوان الذي تذبحه فلا تنحره إلا لمن خلقك وخلقك ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

ولا تحلف إلا بالله - عز وجل - فالله الذي أنطقك فاشكره وحده ولا تحلف بغيره، فلا تحلف بنبي ولا ولي ولا بنعمة ولا بحياة مخلوق، يقول النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».

والخلق والخيوط والتمائم مخلوقة جامدة، وأنت مخلوق حي، فاربأ بنفسك أن تخفض من شأنك بعد أن أعزك الله ورفعك، لا تلجأ إلى جماد فتحمله على صدرك أو ساعدك بدعوى دفع الشر وجلب الخير ودرء العين والله - تعالى - يقول: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ

يُرَدِّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۖ ﴿[يونس: ١٠٧] ويقول النبي ﷺ: «من تعلق تيممة فقد أشرك» [رواه أحمد] وتعلق به وحده وفوض جميع أمورك إليه .

ولا تأخذ حروراً لدفع العين عنك أو جلب النفع لك؛ فيصيبك دعاء المصطفى ﷺ بأن لا يحقق الله لك مبتغاك، وبأن تُصاب بضد ما قصدت، قال عليه الصلاة والسلام: «من تعلق تيممة فلا أتم الله له» [رواه أبو داود] .

وقد أمسك النبي ﷺ عن بيعة من علق التمايم، يقول عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - : أقبل إلى الرسول ﷺ رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا، قال: «إن عليه تيممة» فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: «من علق تيممة فقد أشرك» [رواه أحمد] .

وإن نزلت بك الشدائد والأحزان إجلأ إلى الواحد الديان فنعم المجيب هو، ومن تعلقت نفسه بالله وأنزل به حوائجه والتجأ إليه وفوض أمره كله إليه كفاه كل سُؤْلَه، ويسر له كل عسير، ومن تعلّق بغيره أو سكن إلى علمه وعقله وتمايمه واعتمد على حوله وقوته وكله الله إلى ذلك وخذله . ولا أحد أحبَّ عند المسلم من الله ولا أجَلَّ في قلبه منه - تعالى - ، فهو العظيم في فؤاده، والكبير في نفسه، والصادق في محبته، لا يحلف إلا به وحده، والحلف بغيره - سبحانه - كالكعبة والنبي والأمانة والولي، شرك في التوحيد، قال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» [رواه الترمذي] .

والإكثار من الحلف منافي لتعظيم الله في الصدور، فاحفظ يمينك ولو في صدقك، قال سبحانه: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، واحذرهما في كذبك فهي الغموس، ومن تعظيم الله الرضا بالحلف به ولو كان المستمع يعلم كذب الحالف، قال النبي ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم، ومن حلف

بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله» [رواه ابن ماجه].

ومن إجلال الله أن لا يردّ من سأل بالله، قال ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه» [رواه أبو داود].
وذم الدهر وتقلب أحواله من حرّ أو قرّ أذية لرب العالمين، قال عليه الصلاة والسلام: «قال الله - عز وجل -: يؤذيني ابن آدم بسبب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار» [رواه البخاري].

ولأجل الدين قامت السموات والأرض وأعدت الجنة والنار، والسخرية بالدين أو بأحكامه أو أهله المتمسكين به تُخرج المرء من الإسلام، قال جل وعلا: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَأَيْتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]، وأقدر ربك حق قدره، فهو العظيم في ملكه، المستوي على عرشه، الحكيم في تشريعاته، ولا تظن بالله ظن السوء، من استحقاقك أكثر مما أعطيت، أو تحتقر نعمة في يد غيرك منحها الله إياه، فذاك ظن الجاهلية، فكل ما في الكون بأمر الله وحكمته ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

والتصوير من كبائر الذنوب، صاحبه متوعد بالنار، قال عليه الصلاة والسلام: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم» [متفق عليه].

أيها المسلمون: لقد جهل بعض الناس الحكمة التي من أجلها خلقوا، فتقاذفتهم الأهواء واستولت عليهم الفتن والأدواء، فافتن بعضهم بالسحرة والمشعوذين والأفاكين، بدعوى مكاشفة الغيب والتطلع إلى المستقبل، ولم

يَجُنُّوا مِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَّا التَّضَلِيلَ وَبِعَثْرَةِ الْأَمْوَالِ فِي الْبَاطِلِ وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ويقول النبي ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد» [رواه مسلم].

وافتن بعض الناس بما يسمونه الطالع والأبراج والحظ وتحضير الأرواح وقراءة الكف، فأصيبوا بسيل الأوهام وعدم الرضا بالقدر، قال عز وجل: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١].

ومن معاول هدم الدين إتيان السحرة والمشعوذين، وسؤال الكهان والعرافين، قال عز وجل: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ومن سأل السحرة الكيد بالآخرين عاد وبال مكره عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْقِقِ الْكَيْدَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، والظلمة لا تدفع بالظلمة، ودهماء السحر تدفع بنور القرآن لا بسحر مثله ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

والسحر يطفئ نور الإيمان ويهدم الإسلام ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وإتيان الكهان فساد في الدين ونقص في العقل، قال سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أتى كاهناً أو عرافاً فسأله عن شيء فصدقه؛ فقد كفر بما أنزل على محمد» [رواه أحمد].

والتمايم من الحلق والخيوط والأصداف ونحوها لا تزيد لابسها إلا وهناً وضعفاً في التوكل على الله، رأى النبي ﷺ رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «ما هذه؟» فقال: من الواهنة، فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً» [رواه أحمد]، ولبس التمايم شرك بالله

قال عليه الصلاة والسلام: «من علق تميمة فقد أشرك» [رواه أحمد].
ومن علق شيئاً وكله الله إلى ذلك المعلق فهلك، قال عليه الصلاة
والسلام: «من تعلق شيئاً وكل إليه» [رواه أحمد والترمذي].

والأشجار والأحجار لا ترتجى البركة منهما، ولا بهما، وإنما هي من
مخلوقات الله لا تضر، ولا تنفع، وإراقة الدماء بالقربان لا يكون إلا لله،
ومن ذبح لغير الله وقع في أوحال الشرك، قال عليه الصلاة والسلام: «لعن
الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من أوى محدثاً، ولعن الله
من غير منار الأرض» [رواه مسلم].

والنذر عبادة لا يصرف لغير الله، قال عليه الصلاة والسلام: «من نذر أن
يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» [رواه البخاري].
ومن استعاذ بالله أعاده، ومن لجأ إلى غيره خذله، يقول النبي ﷺ:
«من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى
يرتحل من منزله ذلك» [رواه مسلم].

أخي المسلم: إذا حلت بك نوائب الدهر وكروب الزمان فلا تستغث بغير
الله، ولا تدع غيره، ولا تخضع لميت في قبره، أو رفات في لحده، وارفع
مبتغاك إلى من في السماء فهناك يجاب الدعاء ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، ولا مفر من الابتلاء ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا
ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، وإذا أصابتك مصيبة فقابلها بالرضا
والتسليم قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة:
«هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم»، ولا
تسخط من المكتوب فالسخط لا يزيلها، واحذر الندم على قلة الحذر قبل
وقوع القدر بكلمة لو، فإنها من الشيطان، قال عليه الصلاة والسلام:

«أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم].

ففوض أمورك إلى الله فلن يأتيك من الدنيا إلا ما قسم لك منها: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، قال عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن لصيبك.

والاعتماد على الأسباب بالقلب والجوارح قدح في التوحيد، وتعطيل السبب عجز، والواجب فعل الأسباب المباحة مع تعلق القلب بالله، وبالتوكل عليه - سبحانه - يتيسر العسير، وتبسط الأرزاق، وتفرج الكروب، والأمن من مكر الله غرور ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الاعراف: ٩٩]، واليأس من روح الله قنوط، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الْضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، والجمع بين الرجاء والخوف مع المحبة سبيل الاعتدال.

والشرك له أبواب خفية يسعى الشيطان جاهداً أن يلج منها العباد، قال عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى، قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه» [رواه ابن ماجه].

والعمل الصالح يرتجى به ثواب الله وحده لا يراد به زخرف الدنيا، ومن صرف قلبه بعمله الصالح إلى زينة الحياة حبط عمله، وخسر في آخرته، قال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا.

فِيهَا وَبَنَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه عموماً وخصوصاً.

اللهم احينا على التوحيد سعداء، وتوفنا على التوحيد شهداء، وأغفر لنا ولوالدينا برحمتك يا أرحم الراحمين، ويا أجود الأجودين.
وصلّى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيام التشريق ١٣

الحمد لله الذي إعان على العبادة ويسر، والصلاة والسلام على خير البشر، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى الأثر، وبعد:

فإن أيام التشريق هي: اليوم الحادي عشر ويسمى يوم القر، والثاني عشر ويسمى يوم النفر الأول، والثالث عشر ويسمى يوم النفر الثاني. وهذه الأيام أيام عبادة لله - عز وجل - لإتمام مناسك الحج وهي أيام أكل وشرب وذكر لله - عز وجل -.

قال ابن رجب - رحمه الله -: أيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر، وبذلك تتم النعمة، وكلما احدثوا شكراً على النعمة، كان شكرهم نعمة أخرى، فيحتاج إلى شكر آخر، ولا ينتهي الشكر أبداً.

أعمال هذه الأيام:

١ - رمي الجمرات الثلاث، يبدأ بالصُّغرى، ثم الوسطى، ثم العقبة الكبرى، يرمي كلَّ جمرة بسبع حصياتٍ، يكبر عند كلِّ حصاة يرميها في اليومين الحادي عشر، والثاني عشر (إن تعجل)، وفي اليوم الثالث عشر (إن تأخر).

٢ - يسُنُّ بعد الرمي أن ينحدر قليلاً ويستقبل القبلة، ثم يدعو طويلاً رافعاً يديه، يفعل ذلك عند الصُّغرى والوسطى، أمَّا العقبة فلا يفعل ذلك عندها.

- ٣ - المبيت بمنى ، وهو واجب .
- ٤ - طواف الوداع ، وهو آخر أعمال الحج .
- ٥ - استغلال هذه الأيام بطاعة الله من قراءة القرآن ، وذكر وتكبير وغيرها .

تنبيهات على بعض المخالفات :

- ١ - ترك الدُّعاء عند الجمرة الصُّغرى والوسطى .
- ٢ - رمي الجمار قبل الزوال مع أن وقته يبدأ بزوال الشمس .
- ٣ - رمي الحصى بشدة وعنْفٍ وصراخٍ وسبٍّ وشتَمٍ لهذه الشياطين على زعمهم ، وهذا جهلٌ . وإنما يشرع رمي الجمار ؛ لإقامة ذكر الله ، ولهذا كان النبي ﷺ يكبر على إثر كل حصاة .
- ٤ - الدُّعاء عند جمرة العقبة .
- ٥ - إن بعض الحجاج يبدأ الرمي بجمرة العقبة ، ثم الوسطى ، ثم الصغرى ، وهذا خطأ ، والصَّحيح العكس .
- ٦ - رميهم الحصى جميعاً بكفٍّ واحدةٍ مرةً واحدةً ، وهذا خطأ فاحشٌ ، وقد قال أهل العلم : إذا رمى بكفٍّ واحدٍ أكثر من حصاة لم يحتسب له سوى حصاةٍ واحدةٍ ، والواجب أن يرمى الحصى واحدةً واحدةً كما فعل النبي ﷺ .
- ٧ - تهاون بعض الحجاج برمي الجمار بأنفسهم ، فتراهم يوكلون من يرمي عنهم مع قدرتهم على الرمي ، وهذا مخالف لما أمر الله - تعالى - به من إتمام الحج حيث يقول - سبحانه - : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .
- ٨ - توكيل بعضهم بالرَّمي وسفره مساء الحادي عشر ، فيترك المبيت

وبعض الرمي .

٩ - نزول بعض الحجاج من منى يوم النحر قبل رمي الجمرات ليطوفوا للوداع، ثم يرجعوا إلى منى، فيرموا الجمرات، ثم يسافروا وهذا لا يجوز؛ لأنه مخالفٌ لأمر النبي ﷺ أن يكون آخر عهد الحاج بالبيت، وإنما الوداع آخر أعمال الحج .

نسأل الله الكريم أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم تقبل أعمالنا واجعلها صواباً خالصة لوجهك الكريم .

وصلّى الله على نبينا محمد .

١٤ برنامج عملي للحاج والمعتمر وزائر مسجد الرسول ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أخي الكريم؛ احمد الله أن مدّ في عمرك ويسر لك السبل، وبلغك بيت الله الحرام؛ فأكثر من الحمد والشكر على هذه النعمة العظيمة والمنة الجليلة.

ولعلمي حرصك على الاستفادة من رحلة الحج التي بذلت فيها الغالي والنفيس وفارقت الأهل والأوطان؛ أقدم لك بعضاً من الوقفات التي تعينك على الطاعة والعبادة، وتفيدك مدة بقاءك:

أولاً: عليك بالإخلاص لله - عز وجل - في أعمالك، وتجنب الرياء والمباهاة والمفاخرة، فإن الله - عز وجل - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه - تعالى -، والزم في عبادتك هدي النبي ﷺ ومتابعته في كل ذلك، قال ﷺ: «خذوا عني مناسككم».

ثانياً: العمر فرصة للتزود للدار الآخرة، والدنيا مزرعة، والأيام مراحل، والجزاء والحساب بين يدي الجبار، فحافظ على دقائق أيامك ولحظات حياتك، فإن الدنيا أنفاس لا تعود.

ثالثاً: مكة بلد الله الحرام فيها تضاعف الحسنات وتعظم السيئات، فاحرص على الإكثار من الطاعات وترك المحرمات، ولتكن هذه الرحلة فرصة تربوية لتعويد النفس الاجتهاد في العبادة، وترك فضول الكلام وهجر الغيبة والنميمة، والإبتعاد عن النظر المحرم والبعد عند القيل والقال.

رابعاً: إذا حطت رحالك في مكة فمن آداب دخول المسجد الحرام أن تقول دعاء دخول المسجد: «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك» وتقدم رجلك اليمنى وتبتعد عن مضايقة المسلمين ومزاحمتهم، وعند الخروج تقول: «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إني أسألك من فضلك».

خامساً: رتب لك جدولاً يبدأ من قبل أذان الفجر بساعة ونصف مثلاً؛ فتتوضأ وتذهب إلى البيت الحرام وتطوف ما شاء الله لك، ثم تصلي ركعتين ركعتين وتوتر بواحدة، ثم إذا قرب الأذان وأنت في وقت السحر عليك بالاستغفار فقد مدحهم الله بقوله: ﴿وَالْمُتَغْفِرِينَ بِالْأَشْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] ثم إذا أذن المؤذن ردد معه، وهكذا يكون لك ترتيباً خاصاً لهذه الأيام سواء في مكة أو في المشاعر لتستفيد الفائدة العظيمة.

سادساً: تحية المسجد الحرام الطواف إن يسر لك ذلك، وإلا فصل ركعتين تحية المسجد ثم انتظر الصلاة، واشغل وقتك بقراءة القرآن وسماع الدروس والمواعظ التي تقام في الحرم، قال ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «خلق الذكر»، ويستحب للحاج أن يلازم ذكر الله وطاعته والعمل الصالح مدة إقامته بمكة، ويكثر من الصلاة والطواف بالبيت لأنها فرصة عظيمة، ويستحب الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، والحرص على إدراك الصفوف الأولى فإن الصلاة في الحرم بمئة ألف صلاة.

سابعاً: القرآن العظيم كلام الله، ولديك متسع من الوقت في هذه الأيام وأبشر بالأجور العظيمة، قال ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن: ألف حرف، ولا حرف، وميم

حرف» [رواه الترمذي].

ولو ربت لك جدولاً تقرأ فيه القرآن ما بين كل أذان وإقامة لقرأت في اليوم خمسة أجزاء، ولو قرأت بعد كل صلاة جزءاً لقرأت خمسة أجزاء، وبهذا تقرأ في اليوم الواحد عشرة أجزاء، وكان الإمام الشافعي - رحمه الله - في رحلته من مكة إلى المدينة يختم في النهار ختمة وفي الليل ختمة، فختم في مدة الرحلة (ثمانية أيام) ست عشرة ختمة.

ثامناً: يستحب الإكثار من الدعاء فأنت في سفر، منقطع إلى ربك، في أيام فاضلة ومكان فاضل، فاحرص على الدعاء لنفسك ووالديك وأولادك وللمسلمين جميعاً.

تاسعاً: صلة الرحم واجبة خاصة بالوالدين، ويستطيع الإنسان مهاتفة أقاربه والسلام عليهم، والدعاء لهم بالهداية والتوفيق، ومن تمام صلة الرحم إحضار الهدايا المفيدة والنافعة كأشرطة الدروس العلمية والمحاضرات والكتب الشرعية.

عاشرًا: ليحرص المسلم على أداء أعمال يسيرة في يوم واحد، ولتأمل في حال أبي بكر - رضي الله عنه - واستثماره لوقته منذ طلوع شمس ذلك اليوم، قال ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً» قال أبو بكر: أنا، فقال ﷺ: «ما اجتمعن في أمرٍ إلا دخل الجنة» [رواه مسلم].

وأنت في أرض الحرم تصوم يوماً، وتتصدق على فقير، وتزور مريضاً في أحد المستشفيات القريبة، وتتبع الجنازة وهكذا.

الحادي عشر: كان الصحابة - رضي الله عنهم - يتسابقون إلى الخير

ووردت أحاديث يسألون النبي ﷺ فيها: ما أفضل الأعمال؟ ما أحب الأعمال إلى الله؟ أسألك عملاً يقربني إلى الله... ، وهكذا فليحرص المسلم على الإقتداء بهم ومتابعة نهجهم، وأنت هنا آتيت تسعى إلى الأجر والثوبة والرحمة والمغفرة فشد الهمة واحرص على وقتك .

الثاني عشر: الجلوس في الحرم بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، روى الترمذي عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة» .

الثالث عشر: يُسنّ زيارة مسجد النبي ﷺ قبل الحج أو بعده، لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» .

الرابع عشر: إن تيسر لك زيارة المسجد النبوي فاحرص على الأدب وخفض الصوت، وإذا دخلت فقل دعاء دخول المسجد ثم صل ركعتين، وإن تيسر لك الصلاة في الروضة الشريفة فهذا أفضل، لقوله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» ثم بعد الصلاة تزور قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وتقف تجاه قبر النبي وتسلم عليه قائلاً: «السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته» وتسلم على صاحبيه، ولا يجوز التمسح بالحجرة أو تقبيلها، أو سؤال النبي ﷺ أو غيره، كقضاء الحوائج أو تفريج الكربات لأن هذا لا يطلب إلا من الله - سبحانه وتعالى - .

الخامس عشر: تأس بالنبي ﷺ في سائر أمورك، وأكثر من النوافل والطاعات، واحرص على أداء الصلوات في المسجد النبوي، ويستحب

لزائر المدينة أن يزور مسجد قباء ويصلي فيه، في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يزور مسجد قباء راكباً وماشياً ويصلي فيه ركعتين، وعن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة» [رواه أحمد والنسائي وابن ماجه واللفظ له].

السادس عشر: يسن أيضاً حين بقاءك في المدينة زيارة قبور البقيع، وقبور الشهداء، وقبر حمزة - رضي الله عنهم - لأن النبي ﷺ كان يزورهم ويدعولهم، وزيارة القبور تذكر الآخرة، وفيها الإحسان إلى الموتى والدعاء لهم والترحم عليهم.

السابع عشر: إذا قرب موعد العودة إلى بلادك جدد النية على التوبة والعودة إلى ربك، واسأله الاستقامة على الطاعة والثبات حتى الممات، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام» [متفق عليه].

ولتكن حالك أفضل مما مضى، واحرص على الطاعات وفعل الخيرات فإن الحسنة تتبعها الحسنة، واحرص على دعاء ربك القبول والتجاوز عن الزلل والتقصير والخطأ، وانطرح بين يديه ولد بجنابه وارفع إليه حاجتك دون ما سواه.

تقبل الله منا ومنك وأعادك إلى أهلك سالماً غانماً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٥ كفى به واعظاً

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين . . .
أما بعد:

فإن الله - عز وجل - جعل هذه الدنيا دار ممر لا دار مقر، وجعل بعدها الحساب والجزاء والجنة والنار، ولما كان آخر أنفاسنا من هذه الدنيا هي ساعة الاحتضار مع ما يلاقيه المحتضر من شدة وكرب، فإن الكيس الفطن هو من يرى كيف مر الموقف بغيره، وكيف تغشى أحبته، وماذا جرى لهم، لكي يستعد ويتجهز، ويكون على أهبة لملاقاة الموت.

وقد انتقيت للأخ الحبيب مجموعة من تلك المواقف المختلفة ابتداء بنبي الأمة محمد ﷺ ومروراً بالصحابة والسلف ليكون على بصيرة وبينه، فينظر موضع قدمه ونهاية أنفاسه . . . وهي صور فيها خوف ووجل ولكنها عبرة لمن اعتبر وإيقاظ لمن غفل.

أخي الحاج:

أنت تسافر في كل حين . . . تبحث عن تجارب الآخرين وتنظر في آثار السابقين، سافر معنا خمس دقائق أو تزيد لترى موقفاً سيمر عليك بمفردك وستقف معه وحدك، شئت أم أبيت.

إنه موقف مر به المؤمن والكافر والبر والفاجر، الذكر والأنثى والصغير والكبير، بل حتى الأنبياء والرسل مر بهم الموقف المهول واللحظات الحاسمة.

لا يزعجك الخوف فلا فائدة منه لدفع الموت ولا لرده، بل تأمل ساعات

النهاية لهؤلاء، احسب نفسك معهم فلكل حيٍّ نهاية، وربما يكون لك في ذلك عبرة، فأنت من الأموات غداً، ومن أصحاب القبور.

سأخذ بيدك وتأخذ بيدي في رحلة نؤانس بعضنا وتلتقي فيها قلوبنا... فنحن رفقاء طريق.

فإنَّ لخروج الرُّوح آلاماً وشدائد، فهي تُنزع من الجسد وتجذب معها العروق والأعصاب، ألم تر أن الميت ينقطع صوته وصياحه من شدة الألم!

إنَّه مشهد مؤثر وموقف لن يتكرر.

إنَّه مشهد الموت ولحظات الاحتضار، عندما تبلغ الرُّوح الحلقوم، وترتفع من كلِّ مفصل، ويتحشرج الصَّدر، وتذرف العينان.

عندها يتيقَّن ويتأكد الفراق، ويأتي هذا التأكيد بطوي القدمين، ورفعهما من الدنيا، وكأنك تودع حياة الجري والسعي في هذه الأرض إلى دار الجزاء والحساب، قال - تعالى - في أحسن وصف لهذا المشهد: ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩].

عندها تبدأ مسيرة الآخرة ورحلة الجزاء والحساب: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٣٠].

حال من يرى ظلالاً من الحزن وساعات من الندم ويفكر في المال والمصير.

فالموت حقيقة قاسيةٌ رهيبَةٌ، تواجه كلَّ حيٍّ، فلا يملك لها رداً، ولا يستطيع لها أحدٌ ممن حوله دعفاً، وهي تتكرر في كل لحظة، وتتعاقب على مر الأزمنة، يواجهها الجميع صغاراً وكباراً، أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء، ومرضى وأصحاء، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ

مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
[الجمعة: ٨].

نهاية الحياة واحدة، فالجميع يموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] إلا أن المصير بعد ذلك مختلف: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

والله - عزَّ وجلَّ - خلق الموت والحياة لشأن عظيم وأمر جسيم، فقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، وقد وصف - سبحانه تعالى - شدة الموت في أربع آيات: الأولى: قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

الثانية: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦].

وقال - تعالى - يصف مشهد الموت بتفصيل عجيب وتصوير متتابع لهذا الحدث العظيم: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [ن] وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ [ن] وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ [ن] وَالتَّفْتَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ [ن] إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ [ن] [القيامة: ٢٦ - ٣٠]. وقال - تعالى - في أصدق وصف وأحسن تعبير: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ن] وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ [ن] [ق: ١٩ - ٢٠].

إنها - والله - ساعة مهولة ذات كرب شديد، وما بعدها إلا وعد أو وعيد، لو تفكرت في حلولها وأنت في نعيم وهناء لتكدرت حياتك ولهانت

الدنيا عندك، وصغر عظيمها في عينك، ولتبدل فرحك حزناً وسعادتك كدراً... كيف لا، وأنت تفارق المال والولد، والأحباب والأصحاب إلى دار الجزاء والحساب، أهوالٌ تهون عندها أهوال، حتى تنتهي في رحلة طويلة شاقة إلى أحد الفريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

قال الحكيم بن نوح لبعض إخوانه: اتكأ مالك بن دينار ليلة من أول الليل إلى آخره لم يسجد فيها ولم يركع، ونحن معه في البحر، فلما أصبحنا قلت له: يا مالك، لقد طالت ليلتك لا مصلياً ولا داعياً، قال: فبكى، ثم قال: لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون غداً ما لذوا بعيش أبداً - إني والله - لما رأيت الليل وهوله وشدة سواده، ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك، وكل امرئ يومئذ تهمة نفسه، لا يغني والد عن ولد ولا مولود هو جاز عن الده شيئاً، ثم شهق شهقة فلم يزل يضطرب ما شاء الله، ثم هدأ، فحمل عليّ أصحابنا في المركب، وقالوا: أنت تعلم أنه لا يحمل الذكر فلم تهيجه؟ قال: فكنت بعد ذلك لا أكاد أذكر له شيئاً.

أما الحسن حين مر برجل يضحك سألته: يا ابن أخي هل جزت الصراط؟ فقال الرجل: لا، قال: فهل علمت إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا، قال: فيم الضحك؟! عافاك الله والأمر هول، فما رُئي الرجل ضاحكاً حتى مات.

لحظات لنرى حال من سبقنا إلى ذلك، فهذا عمرو بن العاص - رضي الله عنه - لما احتضر سألته ابنه عن صفة الموت: فقال: والله لكأن جنبي في تخت، ولكأنني أتنفس من سَم أبرة، وكأن غصن شوك يجر به قدمي إلى هامتي.

وسأل عمر - رضي الله عنه - كعباً فقال: أخبرني عن الموت؟
قال يا أمير المؤمنين: هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم،
فليس منه عرق ولا مفصل، وهو كرجل شديد الذراعين فهو يعالجها
يتنزعها، فبكى عمر.

هذا هو الموت وهذه شدته... سيكون تفكيرك في تلك اللحظات
منحصرًا في أي الأبواب ستدخل، وفي أي الدارين تسكن؟
أخي المسلم:

إن الموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها
أكره وأبشع، وإنه الحادث الأهدم للذات، والأقطع للراحات، الأجلب
للكريهات، فإن أمراً يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك، لهو
الأمر العظيم والخطب الجسيم، وإن يومه لهو اليوم العظيم.
واعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب
سوى سكرات الموت بمجردهما، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه، ويتكدر
عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له
استعداداه.

روي أن ملك الموت دخل على داود - عليه السلام - فقال: من أنت؟
فقال: من لا يهاب الملوك، ولا تمنع منه القصور، ولا يقبل الرشا، قال:
فإذا أنت ملك الموت، قال: نعم، قال: أتيتني ولم أستعد بعد؟! قال: يا
داود أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات، قال: أما كان لك في
هؤلاء عبرة لتستعد.

ولنسير لحظات لنرى بعضاً من حالات الاحتضار ونزلات الموت التي هي
إلينا قادمة عاجلاً أو أجلاً، هذه حال رسول الله ﷺ خير الأنبياء والمرسلين

وأكرم الخلق على الله أجمعين عندما أصابته سكرات الموت وشدتها.
فقد قال ﷺ وهو يدخل يديه في ركوة ماء ويمسح بها وجهه الشريف:
«لا إله إلا الله، أن للموت سكرات» [رواه البخاري].

ولما رأت فاطمة - رضي الله عنها - ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذي يتغشاء قالت: واكرب أباه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» [رواه البخاري].

أما حال الصديق أبي بكر - رضي الله عنه - وهو المبشر بالجنة لما احتضر - رضي الله عنه - تمثلت عائشة - رضي الله عنها - بهذا البيت:
أَعَاذَلْ مَا يَغْنِي الْحِذَارَ عَيْنَ الْفَتَى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فقال أبو بكر - رضي الله عنه - ليس كذاك يا بنية، ولكن قلني:
﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

ثم قال: انظروا ثوبي هذين، فاغسلوهما، ثم كفوني فيهما فإنَّ الحي أحوج إلى الجديد من الميت.

ولما حضرت ابن المنكر الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لذنبي أعلم أنني أتيت، ولكن أخاف أنني أتيت شيئاً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم.

وبكى الحسن البصري عند موته وقال: نفيسة ضعيفة، وأمر مهوّل عظيم، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

فأقل - أيها المسلم - نفسك من اليوم، وكن من أولئك القوم الذين استعدّوا، وللآخرة جدوا وتزودّوا.

أخي المسلم:

يا ليت شعري كيف أنت إذا
غُسِّلت بالكافور والسدر
أو ليت شعري كيف أنت على
نبش الضريح وظلمة القبر
اللهم اعنا على سكرات الموت، وثبتنا بالقول الثابت، اللهم اجعل آخر
كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله، اللهم أنا نسألك عيشة السعداء، وميتة
الشهداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الإعداء.
اللهم أرحم ضعفنا، واجبر كسرنا، وتول امرنا، واغفر لنا ولوالدينا
ولجميع المسلمين.
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٦ التوبة

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله - عز وجل - أن فتح باب التوبة وجعله فجراً تبدأ معه رحلة العودة بقلوب منكسرة، ودموع منسكبة، وجباه خاضعة. يقول الله - عز وجل -: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩].

ويقول الله - عز وجل -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ويقول - تعالى - حاثاً على التوبة والرجوع والأوبة: ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].
وصح عنه ﷺ كما روى ذلك الإمام مسلم أنه قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» [رواه مسلم].

وهذا نبي الرحمة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله فإنني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» [رواه مسلم].

وانظر وتأمل أخي المسلم في فضل الله - عز وجل - على التائب العائد، فقد قال رسول الله ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» [رواه ابن ماجه].
وحقيقة التوبة الإعراف بالخطيئة وتركها والندم على ما مضى منها،

والعزيمة على عدم الرجوع إليها، وإن كان عنده مظلمة من أحد في نفس أو عرض أو مال ردها إلى أهلها، أو تحللهم واستباحهم منها.

أخي المسلم:

إن الحج فرصة عظيمة للتوبة لمن صدق مع الله - عز وجل -، ولا تكن أيها المفرط ممن رغم أنفه وخسر هذه الفرصة العظيمة.

ولا يأخذك الهوى وملهيات النفس، فإن الرسول ﷺ يقول: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله! ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» [رواه البخاري].

وهذا الحديث بشارة لجميع المسلمين بالجنة، إلا صنفاً منهم لا يريدون دخولها، لا زهداً فيها، ولكن جهلاً بالطريق الموصلة إليها، وتراخياً وتكاسلاً عن دخولها، وتفضيلاً لهذه المتع الدنيوية الزائلة على تلك النعم الخالدة في الجنة.

جدّ - أخي المسلم - في التوبة وسارع إليها فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد، فسارع إلى التوبة، وهُبَّ من الغفلة، واعلم أن خير أيامك العودة إلى الله - عز وجل - فاصدق في ذلك السير، وليهنك حديث الرسول ﷺ: «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» [رواه مسلم].

أخي الحاج:

قال يحيى بن معاذ - رضي الله عنه -: من أعظم الاغترار عندي:

التَّماذي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقُّع القُرب من الله - تعالى - بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله - عز وجل - مع الإفراط.

ومن أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات.

قال الحسن البصري: «إِنَّ قوماً ألْهَتْهم أُماني المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي - وكذب - لو أحسن الظن لأحسن العمل».

وقال رحمه الله: «إِنَّ المؤمن قَوَّامٌ على نفسه يحاسب نفسه لله - عز وجل - وإنما خَفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إِنَّ المؤمن يَفْجَرُهُ الشيء يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات، هيهات، حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، مالي ولهذا! والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قومٌ أوْثَقَهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله - عز وجل - يعلم أنه مأخوذ عليه في سَمْعِه وبصره ولسانه وجوارحه».

أخي المسلم:

إن جهاد النفس: جهاد طويل، وطريق محفوف بالمكاره، مذاقه مر وملمسه خشن، فعليك بالسير في ركاب التائبين حتى تحط رحالك في

جنات عدن.

قال حاتم الأصم: «من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر لا يأمن الشقاء.

الأول: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان.

الثاني: حين خُلق في ظلمات ثلاث، فنادى الملك: بالشقاوة والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء.

الثالث: ذكر هول المطلع، فلا يدري أيشر برضا الله أم بسخطه.

الرابع: يوم يصدر الناس أشتاتاً، فلا يدري أي الطريقين يُسلك به». قال الحسن: «ابن آدم: إنك تموت وحدك وتدخل القبر وحدك، وتُبعث وحدك، وتحاسب وحدك.

فينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي، فإنه ليس بين الآدمي وبين الله - تعالى - قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل، وإن كان حلمه يسع الذنوب، إلا أنه إذا شاء عفا، فعفا كل كفيف من الذنوب، وإن شاء أخذ وأخذ باليسير، فالحذر الحذر».

أخي المسلم: كلنا أصحاب ذنوب وخطايا، وليس منا من هو معصوم عن الزلل والخطأ، ولكن خيرنا من يسارع إلى التوبة ويبادر إلى العودة، تحته الخطي، وتُسرع به الدمعة، ويعينه أهل الخير رفقاء الدنيا والآخرة، فإن من واجب الأخوة في الله عدم ترك العاصي يستمر في معصيته بل يحاط بإخوانه، ويذكر ويُنبه، ولا يُهمل ويترك فيُضل ويشقى. أرأيت إن نزل به مرض أو شأن من أمور الدنيا كيف تقف معه وتعينه؟ فالآخرة أولى وأبقى.

أخي الحاج: بادر إلى التوبة، ودع عنك، لعل وسوف، ولا يغرك طول الأمل فإن الموت يأتي فجأة! والموت يطلبك في كل لحظة! عَشْشَ مَا بَدَالَك سَالْمَا
فِي ظِل شَاهِقَةِ الْقَصُور
يُسَمَى عَلَيْكَ بِمَا أَشْهَى
بِت لَدَى السَّرَوَاحِ وَفِي الْبُكُورِ
فَإِذَا السَّنْفُوسُ تَقَعَقَعَت
فِي ضَيْقِ حَشْرَجَةِ الصَّدُورِ
فَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَوْقِنَا
مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ
أخي المسلم: احرص على التوبة وبادر إليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الذي يضرُّ صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة، فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة».

ولا تظن أيها المسلم أن التوبة في ترك المنكرات والمعاصي فحسب، بل احرص على التوبة من ترك النوافل والمداومة على الخير، فتب عن تفريطك في هجر قراءة كتاب الله، وتب عن زهدك في أعمال الخير، وتب من بخلك وشحك، وتب إلى الله من غفلتك وإضاعة وقتك الثمين.

واعلم أن المؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع بعشرة أسباب:
الأول: أن يتوب توبة نصوحاً ليتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

الثاني: أن يستغفر الله، فيغفر الله - تعالى - له.

الثالث: أن يعمل حسناتٍ تحوها، لقوله تعالى - ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

السَّيِّئَاتِ ﴿ هود: ١١٤ ﴾ .

الرابع: أن يدعو له إخوانه المؤمنون، ويشفعوا له حياً وميتاً.
الخامس: أن يهدي له إخوانه المؤمنون من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به .

السادس: أن يشفع فيه نبينا محمد ﷺ .
السابع: أن يتتبعه الله في الدنيا بمصائب، في نفسه وماله وأولاده وأقاربه ومن يحبُّ ونحو ذلك .
الثامن: أن يتتبعه في البرزخ بالفتنة والضغطة، وهي عصر القبر، فيُكفِّر بها عنه .

التاسع: أن يتتبعه الله في عرصات القيامة من أهوالها بما يُكفر عنه .
العاشر: أن يرحمه أرحم الراحمين .
فمن أخطأته هذه العشرة، فلا يلومنَّ إلا نفسه، كما قال - تعالى - في الحديث القدسي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفِّيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه» [رواه مسلم] .

وشروط التوبة أربعة:

- ١ - الإقلاع عن الذنب .
 - ٢ - الندم على ما فات .
 - ٣ - العزم على أن لا يعود .
 - ٤ - إرجاع الحقوق إلى أهلها من مال أو غيره .
- وحالنا في هذه الدنيا بين مسوّف ومُفرط، حتى يفاجأنا الموت على حين غفلة، وتأمل في حال البعض ممن يؤثر الظل على الشمس، ثم لا يؤثر الجنة على النار .



جعلني الله وإياكم ممن إذا زلَّ ثاب وتاب، ورزقنا توبة نصوحاً قبل الموت، وتقبل منا حجتنا وصالح أعمالنا، وتجاوز عن تقصيرنا وآثامنا، وغفر لنا ولوالدينا وإلخواننا وأزواجنا وذرياتنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

١٧ الحال بعد العودة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف البريات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد:

ها أنت - أخي المسلم - قد حججت إلى بيت الله الحرام، وأكرمك الله - عزَّ وجلَّ - بأداء هذه الشعيرة العظيمة، وأدعو الله - عزَّ وجلَّ - أن تكون قد خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمُّك، وأبشرك بحديث الصادق الذي لا ينطق عن الهوى «ما أهلك - يعني لبي - مُهلٌ ولا كبرٌ مُكبرٌ قط إلا بُشِّرَ بالجنة» [صحيح الجامع الصغير].

وقال ﷺ: «ما ترفع إيل الحاج رجلاً، ولا تضع يداً إلا كتب الله بها حسنة، أو محا عنه سيئة، أو رفع له درجة» [صحيح الجامع الصغير].

ولا شك أن في رؤية الحاج لتقصيره وغفلته وخوفه من رد عمله وانكساره بين يدي ربه وانطراحه وكثرة دعائه من أعظم أسباب القبول. ها قد عادت صحائفك بيضاً - بإذن الله -، فماذا الحال بعد هذا العفو والعتق؟! هل تعيد السيرة الأولى من كثرة الذنوب والآثام؟ أم تسارع إلى ملء الصُّحف بالطاعات وكثرة العبادة؟!

تذكر - أيها المسلم - أن للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه للصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هَوَّنَ

- تقرأ في اليوم الثاني عشر.

عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يوفه حقه، شدد عليه ذلك الموقف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الناس: ٢٦] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الناس: ٢٧] - .

وعن إبراهيم التيمي قال: لقد أدركت ستين من أصحاب عبد الله في مسجدنا هذا، أصغرهم الحارث بن سويد وسمعته يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ حتى بلغ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ١ - ٧] قال: فيكي ثم يقول: إن هذا الاحصاء الشديد.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله: الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله، أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله - عز وجل -؟ قال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يُصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم».

قال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -: «قد يكون هناك علامات لمن تقبل الله منهم من الحجاج والصائمين والمتصدقين والمصلين وهي انشراح الصدور وسرور القلب ونور الوجه فإن للطاعات علامات تظهر على بدن صاحبها بل على ظاهره وباطنه أيضاً.

وذكر بعض السلف أن علامة قبول الحسنة أن يوفق الإنسان لحسنة بعدها، فإن توفيق الله إياها لحسنة بعدها يدل على أن الله قبل عمله الأول ومن عليه بعمل آخر يرضى به عنه».

واعلم - تقبل الله منك - أن لصلاح العمل آيات، ولقبوله علامات قال

بعض السلف: علامة بر الحج أن يزداد بعده خيراً، ولا يعاود المعاصي بعد رجوعه.

قال الحسن البصري - رحمه الله -: الحج المبرور أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

ها أنت قد قضيت نسكك، وتمَّ لك حجك؛ فأكثر من ذكر الله واستغفاره والتوبة إليه، فهي وصية الله تعالى لك حيث قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْمْ مِّنْ نَّسِكِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

قال ابن رجب في الدر المنثور: «وفي الأمر بالذكر عند إنقضاء النسك معنى، وهو أن سائر العبادات تنقضي ويُفرغ منها، وذكر الله باق لا ينقضي ولا يفرغ منه، بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة».

وقد كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» [متفق عليه].

أخي الحاج... تقبل الله حجك، ورفع في الجنان درجتك، وأعادك إلى أهلك سالماً معافى من الذنوب كيوم ولدتك أمك.
وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

١٨ صفة حجة النبي ﷺ

قال الإمام مسلم - رحمه الله - : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ حَاتِمٍ - قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيُّ - عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ فَقُلْتُ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ . فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زَرِّي الْأَعْلَى ثُمَّ نَزَعَ زَرِّي الْأَسْفَلَ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ أَخِي سَلْ عَمَّا شِئْتَ . فَسَأَلْتُهُ وَهُوَ أَعْمَى وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا وَرَدَّاهُ إِلَى جَنْبِهِ عَلَى الْمَشْجَبِ فَصَلَّى بِنَا فَقُلْتُ أَخْبَرَنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ بِيَدِهِ فَعَقَدَ تَسْعًا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يُحْجَّ ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشْرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ قَالَ «اغْتَسِلِي وَاسْتُغْفِرِي بَثْوَبٍ وَأُخْرِمِي» . فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمَلْنَا بِهِ فَأَهْلٌ بِالتَّوْحِيدِ «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ» . وَأَهْلٌ النَّاسُ

بِهَذَا الَّذِي يُهْلُونَ بِهِ فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيَّتَهُ قَالَ جَابِرٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَسْنَا نَنُوءِي إِلَّا الْحَجَّ لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَرَأَ «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَكَانَ أَبِي يَقُولُ وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» وَ «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» .

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنَ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفا قَرَأَ «إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» . فَبَدَأَ بِالصَّفا فَرَقَى عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» .

ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفا حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهَدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً» .

فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْعَامَنَا هَذَا أَمْ لَا أَبَدٍ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى وَقَالَ «دَخَلْتَ الْعُمْرَةَ فِي الْحَجِّ - مَرَّتَيْنِ - لَا بَلَّ لِأَبَدٍ أَبَدٍ» .

وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ بِيْذُنُ النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدَ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مِمَّنْ حَلَّ وَلَبَسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاکْتَحَلَتْ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا . قَالَ فَكَانَ عَلَيُّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ «صَدَقْتَ صَدَقْتَ مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ» .

قَالَ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهَلَ بِهِ رَسُولُكَ . قَالَ «فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ» .

قَالَ فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مَائَةً - قَالَ - فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَرُوا إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى فَأَهْلَوْا بِالْحَجِّ وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرَبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمَرَ بِقَبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمْرَةٍ فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقَفَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقَبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةٍ فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقُصْوَاءِ فُرِحِلَتْ لَهُ فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنْ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلْتُهُ هَذَا وَلَرَبَّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلَ رَبًّا أَضَعُ رَبًّا رُبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُونَهُ . فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرَبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ . وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ» . قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ .

فَقَالَ بِأُصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ اشْهَدْ
 اللَّهُمَّ اشْهَدْ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَدَنَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ
 وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَجَعَلَ
 بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءَ إِلَى الصَّخْرَاتِ وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ
 الْقِبْلَةَ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ
 الْقُرْصُ وَأَرْدَفَ أُسَامَةُ خَلْفَهُ وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَقَّ لِلْقَصْوَاءِ الزَّمَامَ
 حَتَّى إِنْ رَأَسَهَا لِيُصِيبُ مَوْرَكَ رَحْلِهِ وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى «أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةُ
 السَّكِينَةُ». كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنَ الْحَبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَدَ حَتَّى أَتَى
 الْمُزْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا
 شَيْئًا ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَصَلَّى الْفَجْرَ - حِينَ تَبَيَّنَ
 لَهُ الصُّبْحُ - بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ
 الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جَدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ
 أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ
 وَسِيمًا فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتَ بِهِ طُعْنٌ يَجْرِيْنَ فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ
 إِلَيْهِنَّ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ
 إِلَى الشَّقِّ الْآخِرِ يَنْظُرُ فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ عَلَى وَجْهِ
 الْفَضْلِ يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ يَنْظُرُ حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسَّرٍ فَحَرَكَ
 قَلِيلًا ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجُمُرَةِ الْكُبْرَى حَتَّى أَتَى
 الْجُمُرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا
 مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْحَرِ فَانْحَرَّ ثَلَاثًا
 وَسَتَيْنِ بِيَدِهِ ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ
 بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ فِي قِدْرِ فَطُبِخَتْ فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرَبَا مِنْ مَرَقِهَا ثُمَّ

رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ فَأَتَى بَنِي عَبْدِ
 الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ فَقَالَ «انزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ
 عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ». فَنَاولُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ.

١٩ الصلاة

الحمد لله الذي وعد من أطاعة بجنات عدن تجري من تحتها الأنهار،
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإن الصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أي عبادة أخرى، فهي
عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، قال ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده
الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» [رواه الترمذي].

وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، لقول النبي ﷺ: «بُني الإسلام
على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء
الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» [متفق عليه].

وهي فريضة دائمة مُطلقة، لا تسقط حتى في حال الخوف، قال تعالى:
﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ
فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
﴿البقرة: ٢٣٨-٢٣٩﴾.

وهي أول ما أوجبه الله - تعالى - من العبادات، وهي أول ما يحاسب
عليه العبد، وهي آخر وصية وصى بها رسول الله ﷺ أمته عند موته فقال:
«الصلاة، الصلاة، وماملكت أيمانكم» [رواه أحمد].

وهي آخر ما يفقد من الدين، فإن ضاعت ضاع الدين كله، قال ﷺ:
«لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةُ عُرْوَةٍ، فَكَلِمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَثَ النَّاسُ بِالتِّي نَلِيهَا،
فَأُولَئِهِنَّ نَقْضُ الْحُكْمِ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ» [رواه أحمد].

وقد ذكرها الله - عز وجل - من الشروط الأساسية للهداية والتقوى، فقال

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ يُكْفَرُونَ﴾ [البقرة: ١-٣]، واستثنى الله - عز وجل - المحافظين على الصلاة من الأخلاق الذميمة والصفات السيئة فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٥﴾﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٣].

وقال - جل وعلا - وهو يحكي عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿١﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٣]، وتوعد - عز وجل - تارك الصلاة بقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿١﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٣] والسهو: تركها حتى يخرج وقتها، وقد جعل الرسول ﷺ الحد الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة فقال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» [رواه أحمد].

وتوعد - عز وجل - من ضيعها بالعذاب الشديد: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿١﴾﴾ [مريم: ٥٩]. والغى: واد في جهنم خبيث الطعم، بعيد القعر، جعله الله لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات.

وكان ﷺ شديد الحرص على الصلاة والمحافظة عليها، عن الأسود قال: سألت عائشة - رضي الله عنها -: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله (تعني في خدمة أهله) فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» [رواه أحمد].

وبشر النبي ﷺ من اهتم بأمر الصلاة وحافظ عليها أن يُظله الله في ظله - جل وعلا -، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «سبعة يظلهم الله في يوم

لا ظل إلا ظله» وذكر منهم: «ورجل قلبه معلق في المساجد» [رواه البخاري].
ومن أوضح صفات المنافقين التخلف عن الصلاة، قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها - أي الصلاة - إلا منافق معلوم النفاق».

والصلاة أم العبادات، وأفضل الطاعات، ولذلك جاءت نصوص الكتاب والسنة بإقامتها والمحافظة عليها والمداومة على تأديتها في أوقاتها، قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨].
وهي أفضل الأعمال فقد سُئل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال؟ فقال: «الصلاة لوقتها» [رواه مسلم].

والصلاة نهر جار يحو به الله الخطايا والذنوب، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا» [متفق عليه].

والصلاة كفارة للذنوب والخطايا: قال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر» [رواه مسلم].

والصلاة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة: قال ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسدت سائر عمله» [رواه الطبراني].

وأبشر يا من تحافظ على الصلاة في المساجد بعهد من الله - عز وجل - بدخول الجنة، قال ﷺ: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة» [رواه أبو داود].

وهي أمانة من النار كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لن يلج النار أحدٌ صَلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» [رواه مسلم].
والصلاة حفظ وأمان للعبد في الدنيا كما قال ﷺ: «من صَلَّى الصبح فهو في ذمة الله» [رواه مسلم].

وقد تساهل أناس في أمر الصلاة في المساجد والله - عز وجل - يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وهو نص في وجوب صلاة الجماعة ومشاركة المصلين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها لاكتفى بقوله في أول الآية «وأقيموا الصلاة».

وقد أوجب - جل وعلا - الصلاة في الجماعة حتى في حال الخوف والحرب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار» [رواه البخاري].

وفي صحيح مسلم أن رجلاً أعمى قال يا رسول الله: ليس لي قائد يلائمني إلى المساجد فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟، فقال له النبي ﷺ: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم، قال: «فأجب».

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع المنادي بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر، لم تقبل منه الصلاة التي

صلى» قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «خوف أو مرض» [رواه أبو داود].
وقال ﷺ: «أثقل الصلاة على المنافقين: صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتواهما ولو حبواً» [رواه البخاري].

والناس في هذا الزمن تفلت منهم أمر الصلاة، فمنهم من يصلي في رمضان فحسب، ومنهم من يصلي الجمعة فقط، ومنهم من يصلي لكن بجوار زوجته! ومنهم من يصلي العصر مع غروب الشمس ويصلي الفجر مع طلوع الشمس! وآخرون يصلون مع الجماعة أربع صلوات فحسب وأسقطوا الفجر! وآخرون يصلون ويتركون أبناءهم خلفهم في البيت فلا يؤمرن بصلاة ولا يُنهيون عن منكر!

قالت عائشة - رضي الله عنها -: «من سمع المنادي فلم يجب من غير عذر، لم يجد خيراً ولم يُردَّ به»، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له».

وسأل رجل ابن عباس - رضي الله عنهما - فقال: «رجل يصوم النهار ويقوم الليل، لا يشهد الجمعة ولا الجماعة؟ قال ابن عباس: «هو في النار».

وتأمل في أمر تفويت صلاة واحدة فقط، فقد قال ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وترَ ماله وأهله» [رواه البخاري].

وقال في الحديث الآخر: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» [رواه البخاري].

عباد الله: الصلاة من شعائر الإسلام الظاهرة ومن سنن الهدى، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «من سرَّه أن يلقي الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادي بهن، فإن الله شرع لنبكم ﷺ

سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف» [رواه مسلم].

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - السؤال التالي: أنا شاب حريص على الصلاة غير أنني أنام متأخراً فأركب الساعة (المنبه) على الساعة السابعة صباحاً أي بعد شروق الشمس، ثم أصلي وأذهب للمحاضرات، وأحياناً في يوم الخميس أو الجمعة أستيقظ متأخراً أي قبل الظهر بقليل بساعة أو ساعتين فأصلي الفجر عندما أستيقظ، علماً بأنني أصلي أغلب الأوقات بغرفتي بالسكن، ومسجد السكن الجامعي ليس بعيداً عني، وقد نبهني أحد الإخوة إلى أن ذلك لا يجوز.

المرجو من سماحتكم إيضاح الحكم فيما سبق وجزاكم الله خيراً.
فأجاب الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -:

«من يتعمد تركيب الساعة إلى ما بعد طلوع الشمس حتى لا يُصلي فريضة الفجر في وقتها، هذا قد تعمَد تركها وهو كافر بهذا عند جمع من أهل العلم، نسأل الله العافية لتعمده ترك الصلاة، وهكذا إذا تعمَد تأخير الصلاة إلى قرب الظهر ثم صلاها عند الظهر أي صلاة الفجر، أما من غلبة النوم حتى فاتته الوقت فهذا لا يضره ذلك، وعليه أن يصلي إذا استيقظ، ولا حرج عليه إذا كان غلبة النوم أو تركها نسياناً».

وُسئِلَ أيضاً فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين السؤال الآتي:
يعيب بعض علماء المسلمين على المسلمين الذي يصوم ولا يصلي، فما
دخل الصلاة في الصيام، فأنا أريد أن أصوم لأدخل مع الداخلين من باب
الريان، ومعلوم أن رمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن، أرجو التوضيح
وفقكم الله.

فأجاب - رحمه الله -: «الذين عابوا عليك أنك تصوم ولا تُصلي على
صواب فيما عابوه عليك، وذلك لأن الصَّلَاة عمود الإسلام، ولا يقوم
الإسلام إلا بها، والتارك لها كافرٌ خارج عن ملة الإسلام، والكافر لا يقبل
الله منه صياماً، ولا صدقة، ولا حجاً ولا غيرها من الأعمال الصالحة
لقول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]. وعلى هذا فإذا كنت تصوم ولا تُصلي، فإننا نقول لك: إن
صيامك باطل ولا ينفعك عند الله، ولا يقربك إليه. وأما ما وهمته من أن
رمضان إلى رمضان مُكفِّر لما بينهما، فإننا نقول لك: إنك لم تعرف الحديث
الوارد في هذا، فإن رسول الله ﷺ يقول: «الصلاة الخمس، والجمعة إلى
الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر» [رواه مسلم].

فاشترط النبي - عليه الصلاة والسلام - لتكفير رمضان إلى رمضان،
اشتراط أن تُجتنب الكبائر، وأنت أيها الرجل الذي لا تُصلي وتصوم لم
تُجتنب الكبائر، فأى كبيرة أعظم من ترك الصلاة بل إن ترك الصلاة كُفْرٌ،
فكيف يكفر الصيام عنك، فترك الصلاة كفرٌ. ولا يُقبل منك الصيام،
فعليك يا أخي أن تتوب إلى ربك، وأن تقوم بما فرض الله عليك، من
صلاتك ثم بعد ذلك تصوم، ولهذا لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال:

«ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هُم أجابوك لذلك، فأعملهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات لكل يوم وليلة» [رواه البخاري]. فبدأ بالصلاة ثم الزكاة، بعد ذكر الشهادتين.

اللهم اهدنا ووفقنا، وأعنا على حسن عبادتك على الوجه الذي يرضيك عنا، اللهم يسر أمورنا واشف صدورنا، وطهر قلوبنا، ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرّة أعين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حجاب المسلمة ٢٠

الحمد لله الذي كرم المرأة وأنزلها في الشريعة منزلة عالية، والصلاة والسلام على من كان خير زوج وأب وأخ، صلى الله وسلم عليه وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تنعم المؤمنة بنعمة الستر والعفاف، يزينها الحياء إن قعدت، والحشمة إن سارت، وضعت فوق رأسها شعاراً تحلت به، وأسدلته على وجهها نوراً تمشي به، حافظت عليه وتمسكت به طاعة لله - عز وجل -.

لبست الحجاب الشرعي كاملاً وآمنت بوجوبه؛ مثل ما آمنت بأن الصلوات خمس فأقامتها، والصيام المفروض شهر فأدته، والحج مرة في العمر فسارت إليه، طبقت شروط الحجاب الشرعي كاملة حتى لا تشذ وتقع في مخالفة واحدة.

فالمرأة المسلمة تتعبد الله - عز وجل - بما أمرت به، فمن أمر بالصلاة والصيام والزكاة والحج هو الذي أمر كذلك بالحجاب والستر والعفاف.

هذه المرأة المسلمة الموفقة أطاعت وامتثلت، وصانت نفسها، وحمت أعين المسلمين من الوقوع في الفتنة، وجزاؤها - بإذن الله - جزاءً موفوراً في الدنيا والآخرة.

وحتى ينشرح قلب المسلمة، ويهناً بالها، وتقر عينها، وترى الحجاب إشراقاً عفة وطهارة، وطاعة واستجابة، أسوق إليها بعضاً من ثمار لبس الحجاب الشرعي حتى تحافظ عليه وتمسك به.. إنها قلائد تجمل حياتها وترفع درجاتها.

أجمل القلائد وأولها وانصعها . . . قلادة العبادة، فالحجاب عبادة من العبادات التي تتقربين بها إلى الله - عز وجل - .

إليك آية تخالط شغاف القلوب، فالخطاب لأزواج الرسول وبناته ولك أنت: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلًّا لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلاليب ويبدن عينا واحدة» .

فكلما جعلت الحجاب الشرعي على رأسك وأسدت الغطاء على وجهك، ولم يظهر منك شيء فاعلمي أنك في طاعة وعبادة، تزيد كلما التزمت أكثر، وتنقص إن فرطت وضيعت، وقد قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «ظفر المرأة عورة، فإذا خرجت من بيتها فلا تبين منه شيئا ولا خفها» .

يا عفيفة: قري بحجابك عينا، فلك أجر الرضا والتسليم، والامثال والطاعة لله - عز وجل -، فإن ما تقومين به إنما هو طاعة لله - عز وجل - ورسوله، فليهنك القبول والعمل؛ امثالاً واستجابة لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وتأمل في حال تلك المرأة العظيمة، عن عطاء: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ هذه المرأة السوداء، أتت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إني أصرع، فادع الله لي، فقال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» فقالت: أصبر، ثم قالت:

يا رسول الله، إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها» [رواه البخاري].

- رضي الله عنها - صبرت على الصرع ونالت الجنة، لكنها لم تصبر على أن يتكشفها الرجال حتى وهي في حالة الغيبوبة والمرض. فكيف بمن هي في حالة الصحة والعافية وتعرض مفاتها للرجال الأجانب، وقد حرم الله - عز وجل - ذلك عليها.

أختي المسلمة: بالحجاب تتقربين إلى مولاك، فالحجاب قربة لله - عز وجل - تمثل فيه المسلمة لأمر الرسول ﷺ «والمرأة عورة» [رواه البخاري].
قال العلماء: «وفي هذا الحديث دلالة على أن جميع أجزاء المرأة عورة في حق الرجال الأجانب»، لذا فهي تطيع، وترضى، ولا تخالف ولا تعصي ولا تتذمر ولا تشكي.
قالت فاطمة - رضي الله عنها -: «خيرٌ للمرأة أن لا ترى الرجال، ولا يرونها».

وقال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: «ما تقربت امرأة إلى الله - عز وجل - بأعظم من قعودها في بيتها».
وقد حدثني قريبٌ لنا: أن امرأة عجوزاً طاعنةً في السن، أصابها ألم في الأذن، وألم الأذن شديد لا يطاق، ولما أتى بالطبيب على رفض منها وعدم موافقة، وأصبحت أمام الأمر الواقع، أخرجت أذنها وغطت باقي وجهها كاملاً، فلم يظهر إلا الأذن فقط. تعجّب الطبيب من فعلها، واستغرب صنيعها وقال: يا أمي... أنا طبيبٌ... اكشفي عن وجهك! قالت له وهي واثقة من طاعة ربها: أنت لا تريد إلا أذني أخرجتها لك. أمّا وجهي فلا والله.

وقد أوجبت الشريعة ستر المرأة لكامل جسدها عن الأجانب وأولى ذلك الوجه فإنه موطن الجمال وقد وردت آيات وأحاديث صحيحة في ذلك .
والمسلمة بهذا العلم تنال أجر الصبر على العبادة، وما تلاقيه من تعب ونصب، واستهزاء وسخرية، فلها أجر الصبر والاحتساب . ومن أعظم أنواع الصبر: الصبر على أداء الواجبات، والبعد عن المحرمات، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] . وقال عز وجل ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] .

وبحجابك الشرعي تقتدين بأمهات المؤمنين ونساء الصحابة، وهنَّ من هنَّ في الصلاح والتقوى والسنا والرفعة، قالت عائشة - رضي الله عنها - «إِنَّ لِنِسَاءِ قَرِيشَ لِفَضْلاً، وَإِنِّي مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ أَشَدَّ تَصَدِيقاً لِكِتَابِ اللَّهِ، وَلَا إِيمَاناً بِالتَّنْزِيلِ، لَقَدْ أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ ﴿ وَلَيَضَرِّبَنَّ يَحْمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] فَانْقَلَبَ رِجَالُهُنَّ إِلَيْهِنَّ، يَتَلَوْنَ عَلَيْهِنَّ مَا أُنْزِلَ لِلَّهِ إِلَيْهِنَّ فِيهَا، وَيَتْلُو الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ، وَابْنَتُهُ، وَأَخْتُهُ، وَعَلَى كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ، فَمَا مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَامَتْ إِلَى مِرْطَافِهَا الْمَرْحَلِ (أي الذي نقش فيه صور الرجال وهي المساكن) فَاعْتَجَرَتْ بِهِ (أي سترت به رأسها ووجهها)؛ تَصَدِيقاً وَإِيمَاناً بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، فَأَصْبَحْنَ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَجِّراتٍ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغُرَبَانَ» .

وعلى هذا قال الإمام ابن حجر - رحمه الله - في الفتح: «لم تزل عادة النساء قديماً وحديثاً أن يسترن وجوههن عن الأجانب» .

وصيانة للمرأة ومحافظتها عليها فقال ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع محرم» .
حتى وإن كان سفر طاعة وعبادة، وجعل الشارع الحكيم من شروط الاستطاعة في الحج للمرأة وجود المحرم تكريماً لها وصيانة لها .

في الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم» فقال رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإنني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: «انطلق فحج مع امرأتك» [رواه البخاري ومسلم].

ومن تأمل في هذا الحديث العظيم رأى أن المرأة في سفر طاعة ولم يسأل النبي ﷺ هل معها نساء وهل هي شابة أم عجوز وهل الطريق آمن؟ والرجل أيضاً في عبادة متوجه إلى الجهاد، ومع ذلك أمره النبي ﷺ أن يلحق بها ويترك الجهاد.

وقد صان الإسلام المرأة وأمرها بعدم أبداء الزينة أو صوت الخلخال حتى لا يلفت النظر إليها ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. بل وأمر الله - عز وجل - نساء النبي ﷺ وهن في البيوت بعدم المخاطبة إلا من وراء حجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وأمر الله - عز وجل - المرأة المسلمة بعد التعطر حين الخروج وحذر من ذلك ﷺ بقوله: «إما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية» [رواه البخاري].

بل ونهاها ﷺ إذا أصابت بخوراً ألا تحضر إلى المساجد فقال ﷺ: «إما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخر» [رواه مسلم].

وسدَّ لباب الفتنة منع الأخ من الدخول على زوجة أخيه قال ﷺ: «ياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحموم؟ قال: «الحموم الموت» [متفق عليه].

وأبشري يا من حافظت على الحجاب بالعز والفخر، والفرح والسرور

أن تكون لك عقبى الدار، جزاء صبرك على الحجاب والتمسك به؛ ابتغاء وجه الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيِّئَةُ أُولَئِكَ هُمُ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

فالحجاب تنالين الأجر والثوبة على التعب والمشقة في الحرّ، وعند المشي، وفي الصيف، كل ذلك التزاماً بما أمر به الله - عز وجل -، ولك أجر آخر هو أجر الصبر عن معصية الله ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «أي بسبب صبرهم أعطاهم ونوّلهم وبوّأهم جنة وحريراً، أي منزلاً رحباً وعيشاً رغيداً ولباساً حسناً». والشروط الواجب توفرها مجتمعة حتى يكون الحجاب شرعياً أن يستر جميع بدن المرأة، وأن لا يكون الحجاب زينة في نفسه، وأن يكون فضفاضاً واسعاً غير ضيق لا أن يكون صفيقاً ثخيناً يشف، أن لا يكون مبخراً مطيباً، وأن لا يشبه ملابس الرجال أو ملابس الكافرات، وأن لا يقصد به الشهرة بين الناس.

سُئِلَ فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين - رحمه الله :-
ما هو الحجاب الشرعي؟

فأجاب: «الحجاب الشرعي هو حجب المرأة ما يحرم عليها إظهاره؛ أي سترها ما يجب عليها ستره، وأولى ذلك وأوله ستر الوجه؛ لأنه محل الفتنة ومحل الرغبة، فالواجب على المرأة أن تستر وجهها عن من ليسوا بمحارمها، وأما من زعم أن الحجاب الشرعي هو ستر الرأس والعنق والنحر والقدم والساق والذراع، وأباح للمرأة أن تخرج وجهها وكفيها فإن هذا من

أعجب ما يكون من الأقوال ؛ لأن من المعلوم أن الرغبة ومحل الفتنة هو الوجه وكيف يمكن أن يقال إن الشريعة تمنع كشف القدم من المرأة وتبيح لها أن تُخرج الوجه؟ هذا لا يمكن أن يكون واقعاً في الشريعة العظيمة الحكيمة المطهرة من التناقض ، وكل إنسان يعرف أن الفتنة في كشف الوجه أعظم بكثير من الفتنة بكشف القدم ، وكل إنسان يعرف أن محل رغبة الرجال في النساء إنما هي الوجوه ؛ ولهذا لو قيل للخاطب إن مخطوبتك قبيحة الوجه ولكنها جميلة القدم ما أقدم على خطبتها ، ولو قيل له إنها جميلة الوجه ، ولكن في يديها أو في كفيها أو في قدميها أو في ساقها نزول عن الجمال لكان يقدم عليها ، فعلم بهذا أن الوجه أولى ما يجب حجاب به ، وهناك أدلة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأقوال الصحابة وأقوال أئمة الإسلام وعلماء الإسلام تدل على وجوب احتجاب المرأة في جميع بدنها من ليسوا بمحارمها ، وتدل على أن يجب على المرأة أن تستر وجهها عمن ليسو بمحارمها وليس هذا موضع ذكر ذلك ، والله أعلم .

اللهم وفق نساءنا لم تحب وترضى ، واجعلهن من أهل الجنة والدرجات العلاء ، اللهم جنبهن التبرج والسفور يا أرحم الراحمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

٢١ من أحكام الطهارة للنساء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن المرأة المسلمة مأمورة بمعرفة أحكام الشريعة خاصة ما يتعلق بأمور العبادة التي لا غنى عنها.

ومن تلك الأحكام الهامة أحكام الطهارة التي قد تجهلها ويكون الحياء في أحيان كثيرة حاجزاً عن السؤال عنها.

وفي هذه المقتطفات الخاصة بقواعد ومسائل في أحكام الحيض أعانة لها على معرفة الأحكام الشرعية - بإذن الله -.

تعريف الحيض: الحيض دم يحدث للأنثى بمقتضى خلقتها بدون سبب في أوقات معلومة، فهو دم طبيعي ليس له أسباب من مرض أو جرح أو سقوط أو ولادة.

قال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قواعد ومسائل في أحكام الحيض:

١ - قد تزيد مدة الحيض عن وقت عادتها فتعتد بالزيادة ويكون حيضاً.

مثال ذلك: أن تكون مدة حيضها خمسة أيام فتطول إلى سبعة أيام (معنى ذلك أن مدة حيضها أصبحت سبعة أيام).

- مقتبس من كتيب (قواعد ومسائل في طهارة المرأة المسلمة) لأخت فاضلة بمراجعة د. عبدالله السلمي.

٢ - وقد تقصر مدة الحيض عن وقت عاداتها فتعتدّ بالأقل .
مثال ذلك: أن تكون مدة حيضها خمسة أيام فتقصر إلى أربعة أيام (معنى ذلك انتهت مدة الحيض).

٣ - قد تطول مدة الحيض بسبب مانع: مثال: قد تستعمل مانع الحمل (لولب) فتطول مدة حيضها، كأن تكون مدة حيضها خمسة أيام، وبعد استعماله تطول إلى ثمانية أيام (معنى ذلك أن مدة الحيض أصبحت ثمانية أيام) فتعتد بالزيادة وتكون حيضاً، مع مراجعة الطبيبة المسلمة حتى تتأكد أن اللولب في مكانه الصحيح وأن الدم ناشئ من قعر الرحم لا بسبب جرح أو عرق أو نزيف^(١).

٤ - قد يتقدم الحيض: مثال: يأتيها الحيض آخر الشهر، فيتقدم قبله بأسبوع أو عشرة أيام مثلاً، فهذا حيض.

٥ - قد يتأخر الحيض: مثال: يأتيها الحيض وسط الشهر فيتأخر إلى آخره فهذا حيض.
والقاعدة:

متى رأت الدم فهو حيض، وتعتبر المرأة حائضاً إذا كان يوم وليلة فأكثر - كما سيأتي بيانه - ومتى ما رأت الطهر فهي طاهرة سواء زادت عن عاداتها أو نقصت، وسواء تقدمت أو تأخرت، لقوله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢] فجعل المولى - سبحانه وتعالى - وجود الأذى وهو الدم حيضاً.

٦ - قد يستمر سيلان الدم زمن الحيض ويكون متواصلاً (وهذا عند

(١) ومن أمثله ذلك الاضطرابات النفسية التي تعترى المرأة مثل وقت الامتحانات أو خلافات زوجية فهذه قد تسبب إطالة مدة الحيض، وتأخيرها، أو تقديمه.

غالب النساء).

مثال ذلك: أن تكون أيام حيضتها خمسة أيام متواصلة تم تطهر.
٧ - وقد يتفرق الدم ويتقطع في وقت عادتها، فما رأته من الدم فهو حيض، وما رأته من الطهر والجفاف فهو طهر.

مثال ذلك: قد تكون مدة الحيض ثمانية أيام، فيأتيها في أحد الأشهر أربعة أيام ثم ينقطع يومين ثم يعود يومين، فالأيام الأولى حيض والوسطى طهر (تصوم وتصلي) واليومان الأخيران حيض جزماً لأن الثمانية أيام هي أيام عادتها، ولأن الأصل أن كل دم يأتي المرأة، فهو حيض، ما لم يثبت خلاف ذلك، كما هو مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٨ - الأصل أن الحيض المعتبر هو ما كان مدته يوماً وليلة لأن النبي ﷺ علّقه على عادة النساء «تحيضي في علم الله ستاً أو سبعمائة كما تحيض النساء...» ولم يوجد حيض معتاد أقل من يوم وليلة، وعليه فما نزل من الدم أقل من يوم وليلة فلا تعتبره حيضاً^(١).
وبناءً على القاعدة:

إذا انقطع الدم يوماً وليلة^(٢) فأكثر بين أيام الحيض فهذا طهر، وأن انقطع أقل من يوم وليلة فالدم في حكم الحيض.

مثال (أ): لو كانت مدة حيضها سبعة أيام وفي اليوم الخامس انقطع الدم من الفجر إلى آخر الليل حيث لو مسحت لم تجد شيئاً ثم عاودها الدم في اليوم السادس والسابع فالיום الخامس طهر (تصلي وتصوم) لأن الطهر

(١) والمراد بقوله يوم وليلة - ٢٤ ساعة - أو قريباً من اليوم واللييلة كـ ٢٢ ساعة).

(٢) ما لم يكن في زمن عادتها ويبقى معه أثر بحيث لو مسحت وجدت دمًا فهو حيض.

يكون بالجفاف وهو الغالب ويكون بالقصة البيضاء.

مثال (ب): لو كانت مدة حيضها سبعة أيام وفي اليوم الخامس انقطع من الفجر إلى العصر فهذا في حكم الحيض لأنه أقل من يوم وليلة.

٩ - وقد يأتيها الدم بعد وقت عادتھا واغتسالها بيومين مثلاً أو أكثر، فالأصل أن الدم الذي يأتيها يوم وليلة فأكثر - كما سبق - حيض ما لم يثبت خلاف ذلك كجرح أو نزيف.

مثال ذلك: أن تكون مدة الحيض لديها معلومة أربعة أيام مثلاً ثم تطهر ثم يعود الدم في اليوم السادس والسابع، فما رأته في اليوم السادس والسابع فهو حيض.

س: كيف تعرف المرأة المسلمة هذا الدم سيقصر عن يوم وليلة فلا تعدّه حيضاً أو أنه سيطول فتعدّه حيضاً؟

ج: أولاً: إن كان هذا الدم في زمن حيضتها أو قريباً منها، فتعتد به على أنه حيض لأنه الأصل، ما لم يرتفع ويحصل جفاف، وكذا إن كانت تعلم أنه يحصل لها ذلك عند كل حيضة.

ثانياً: إن كان الدم بعد زمن الطهر، وليس فيه علامات على أنه حيض، من أوجاع الظهر مثلاً، أو لون في الدم ورائحته، وليس ثخين، ويأتيها في غالب أمرها إذا اهتمت أو اضطربت نفسيتها، ثم يرتفع، فليس بحيض، وإن كان فيه أحد علامات الحيض فتعتد به على أنه حيض، ما لم يكن أقل مدة الحيض.

١٠ - لو طالت مدة الحيض عن وقت عادتھا في أحد الأشهر فإنها تعتد

بهذه الزيادة

مثال ذلك: لو كانت مدة حيضها خمسة أيام لكن في أحد الأشهر استمر

الدم معها إلى أحد عشر يوماً ثم طهرت (معنى ذلك أن مدة حيضها في هذا الشهر أحد عشر يوماً).

* أما إذا استمر الدم معها فتنتظر إلى أكثر مدة الحيض وهو خمسة عشر يوماً فإذا وصل إلى هذه المدة فإنها تغتسل وتكون طاهرة، وإن استمر الدم معها فتتوضأ لكل صلاة وتغسل الأثر من الملابس ويكون الدم استحاضة وهو مذهب الجمهور.

* أما إذا استمر الدم معها حتى الشهر الثاني فإنها تكون مستحاضة والمستحاضة - هنا - هي التي ترى الدم الشهر كله أو غالبه لا ينقطع إلا يوم أو اثنين فترجع إلى أحكام الاستحاضة وهي:

الحالة الأولى: أن تكون لها عادة معروفة لديها قبل إصابتها بالاستحاضة بأن كانت قبل الاستحاضة تحيض خمسة أو ثمانية أيام مثلاً في أول الشهر أو وسطه فتعرف عددها ووقتها، فهذه تجلس قدر عاداتها وتدع الصلاة والصيام وتكون حائضاً فإذا انتهت عاداتها اغتسلت وصلت واعتبرت الدم الباقي دم استحاضة وتتوضأ لكل صلاة، وإن شق عليها الوضوء لكل صلاة توضأت وصلت صلاة الظهر والعصر جمعاً وكذا تصنع في صلاة المغرب والعشاء.

الحالة الثانية: إذا لم يكن لها عادة معروفة لكن دمها في بعض الأيام متميز، بأنه يحمل صفة دم الحيض، بأن يكون أسوداً أو ثخيناً أو له رائحة، وباقي الأيام لا يحمل صفة دم الحيض بأن يكون أحمر ليس له رائحة ولا ثخيناً ففي هذه الحالة تعتبر الدم الذي يحمل صفة الحيض حيضاً فتدع الصلاة والصيام وتعتبر ما عداها استحاضة، تغتسل عند نهاية الذي يحمل صفة الحيض وتصلّي وتصوم وتعتبر طاهرة وتتوضأ لكل صلاة إذا كان الدم مستمراً.

الحالة الثالثة: إذا لم يكن لها عادة تعرفها ولا صفة تميز بها الحيض من

غيره فإنها تجلس غالب الحيض ستة أيام أو سبعة أيام من كل شهر لأن هذا غالباً هي عادة النساء، وهذه ليس للتخير بأن تجلس مرة خمسة أيام ومرة ستة أيام بل تختار ما عليه قريباتها مثل: أمها وأخواتها وعماتها وخالاتها، فأكثرهن مثلاً يجلسن خمسة أيام فهي تجلس مثلهن، وهكذا تقيس حالها على أغلب عادة النساء من أقاربها اللاتي هن حولها وتثبت على هذه المدة حتى يعافيه الله.

والحاصل: أن المعتادة تُرد إلى عاداتها، والمميزة إلى العمل بالتمييز، والفاقدة لهما تحيَّض ستاً أو سبعاً حسب عادة أغلب من حولها من قريباتها.

﴿٢٢﴾ قواعد ومسائل في أحكام الصفرة والكدرة والقصة البيضاء

الصفرة: شيء كالصديد يعلوه صفرة.
الكدرة: كلون الماء الوسخ . . وليس على لون من ألوان الدماء، أو ماء
مزوج بحمرة، فيخرج كاللون البني غالباً.
س: بم تعرف المرأة طهارتها؟
١- بالقصة البيضاء: وهي ماء أبيض يدفعه الرحم عند انقطاع الدم.
٢- أو بالجفاف: بأن تدخل منديلاً فيخرج جافاً، ومعنى الجفاف: هو
أن لا يكون عليه شيء من الدم ولا من الصفرة ولا من الكدرة؛ لأن فرج
المرأة لا يخلو من الرطوبة غالباً.

قواعد ومسائل في الصفرة والكدرة والقصة البيضاء:

١ - الصفرة والكدرة في زمن الحيض حيض، مثال: أن يأتيها الحيض
خمسة أيام ففي أحد الأشهر أو دوماً يأتيها الدم يومان ثم اليوم الثالث
صفرة وكدرة ثم اليومان الأخيران دم (معنى ذلك أن الأيام الخمسة كلها
حيض).

٢ - الصفرة والكدرة إذا اتصلت بأيام الحيض قبل الطهر حيض، مثال:
أن يأتيها الدم خمسة أيام وبعده يومين صفرة وكدرة ثم أتت القصة البيضاء
(معنى ذلك أن السبعة أيام كلها حيض).

٣ - الصفرة والكدرة لا تعد بعد الطهر شيء، مثال: انتهت أيام الحيض
ورأت الطهر، وبعد ذلك رأت صفرة وكدرة فهذه ليست بحيض، وإنما

تعتبر الصفرة والكدرة استحاضة تتوضأ عند دخول الوقت وتغسل أثرها من الملابس .

والقاعدة:

الصفرة والكدرة إذا كانت في أثناء زمن الحيض أو متصلة به قبل الطهر تكون حيضاً .

تقول أم عطية - رضي الله عنها - «كنا لا نعد الصفرة والكدرة بعد الطهر حيضاً» [رواه البخاري وأبو داود واللفظ له] .

٤- الصفرة والكدرة قبل نزول الدم أو في زمن الحيض مع الآم الحيض أو تأتياها قبل الدم بصفة مستمرة تُعد حيضاً على التفصيل التالي:

* الصفرة والكدرة قبل الحيض إذا كانت متقطعة مع آلام الحيض تُعد حيضاً .

مثال: لو رأت صفرة أو كدرة لمدة يوم أو يومين أو ثلاثة أيام مع الآم الحيض ثم أتى الحيض فالأيام الثلاثة الأولى قبل الحيض تُعد حيضاً .

* الصفرة والكدرة قبل الحيض إذا كانت متقطعة من غير الحيض تُعد استحاضة .

* الصفرة والكدرة قبل الحيض إذا كانت مستمرة تُعد حيضاً:

مثال ذلك: لو رأت صفرة وكدرة لمدة ثلاثة أيام بشكل مستمر ثم اليوم الرابع أتى الحيض فالأيام الثلاثة الأولى حيض .

* الصفرة والكدرة أول أيام الحيض مع الآم الحيض تُعد حيضاً .

٥ - نزول خيط رفیق أسود أو بني أول أيام الحيض مع آلام الحيض يُعد حيضاً بشرط أن تستمر هذه الخيوط معها من غير جفاف .

أما لو جاءت خيوط ثم انقطعت، فلا تُعد حيضاً، لأن الحيض لا يكون

أقل من يوم وليلة كما سبق بيانه .

٦ - لو رأت الطهر (القصة البيضاء) ثم صفرة وكدره ثم قصة بيضاء ثم صفرة وكدره، فالقصة البيضاء الأولى هي علامة الطهر .

٧ - إذا تدرج لون الصفرة والكدره المتصلة بدم الحيض من اللون البني إلى الأصفر وكان مستمراً فتتظر المرأة حتى ترى الطهر (القصة البيضاء أو الجفاف) .

أما إن تدرج إلى اللون الأصفر وكان متقطعاً لا تراه إلا مرة واحدة في اليوم مثلاً، وتأخر نزول القصة البيضاء إلى ثلاثة أيام مثلاً فالطهر يكون عند رؤية أول اللون الأصفر المتقطع .
تفقد الطهارة:

قال بعض السلف: لا يلزم المرأة أن تفقد طهرها بالليل ولا يعجبني ذلك، ولم يكن للناس مصابيح كما قالت عائشة - رضي الله عنها - وغيرها، وإنما يلزمها ذلك إذا أرادت النوم أو قامت لصلاة الصبح وعليهن أن ينظرن في أوقات الصلوات، وليس تفقد طهره بالليل من عمل الناس .

صفة الغسل الكامل المستحب من الحيض والنفاس والجنابة وكذا عند الإحرام بحج أو عمرة:

١ - أن تنوي بقلبها .

٢ - ثم تسمي وتغسل يديها ثلاثاً وتغسل العورة، ثم تتوضأ وضوءاً كاملاً .

٤ - ثم تصب الماء على رأسها (تروي أصول شعرها) .

٥ - ثم تغسل الشق الأيمن أمام وخلف وتدلك بيديها .

٦ - ثم تغسل الشق الأيسر أمام وخلف وتدلك بيديها .

أما الغسل المجزئ: أن تغسل العورة ثم تمضمض وتستنشق ثم تعم الماء جميع بدنك بنية الطهارة من الحيض أو النفاس، أو الجنابة.

تنبيه (١): هذه صفة الغسل الكامل والمجزئ يمكن أن تصلي بعده من الحدث الأكبر (الحيض أو النفاس أو الجنابة فقط) ويغنيها عن الوضوء.

تنبيه (٢): إذا أجنب المرأة ثم حاضت فتغتسل من الجنابة لتخفيف الجنابة ولتتمكن من قراءة القرآن الكريم.

فائدة (١): يستحب للمغتسلة من الحيض أن تمسح فرصة من مسك على موضع خروج الدم: لقول عائشة - رضي الله عنها - : سألت امرأة النبي ﷺ كيف تغتسل من حيضتها؟ فذكرت أنه علمها كيف تغتسل ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «تطهري بها، سبحان الله» فقلت: تتبعي بها أثر الدم [رواه مسلم].

معاني المفردات:

فرصة مسك: قطعة قطن تستعملها المرأة في مسح دم الحيض، والمعنى: تأخذ فرصة مطيبة من مسك (سائل أو جامد).

تتبعي بها أثر الدم: قال جمهور العلماء (يعني به الفرج).

* تأخذ مسكاً تجعله في قطنه ونحوها وتجعله في فرجها، فإن لم تجد فطيباً.

* والحكمة من ذلك:

١ - قيل: المقصود كي تزول به رائحة الدم.

٢ - وقيل: لأنه أسرع إلى علوق الولد.

٣ - وقيل: يقطع الإفرازات المهبلية.

٤ - يسهل للمرأة بعد ذلك معرفة طهارتها بالقصة البيضاء أو الجفاف.

تنبيه: يحسُن بالنساء العمل بهذه السنة، ولو كانت معتدة من وفاة زوج إلا من كانت محرمة بحج أو عمرة.

فائدة (٢): قال ﷺ «المسك أطيب الطيب» [رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري].

المسك: طيب الجنة، ومن منافعه أنه يطيب العرق ويسنن الأعضاء ويمنع الأرياح الغليظة المتولدة في الأمعاء، ويقوي القلب وفيه من التوحش تفريح ويصلح الأفكار ويذهب بحديث النفس وينفع من بآء الصداع ويقوي الدماغ وينفع من جميع عللة الباردة ويبطل عمل السموم وغير ذلك [فيض القدير للمناوي ٥٤٧/١، بتصرف].

س: يشتكي بعض النساء من فتور وغفلة وقسوة قلب في فترة الحيض أو النفاس بحكم أنهن لا يصلين ولا يصمن في هذه الفترة فما العلاج؟

ج: إن الله - سبحانه - منعهن من الصلاة والصيام رحمة بهن وهو أرحم الراحمين، ولكن طرق الخير والطاعات كثيرة - والله الحمد - فعلى المسلمة أن تسلكها لتكون قريبة من ربها في جميع أحوالها كقراءة القرآن عن ظهر قلب أو بحائل طاهر كقفاز وغيره، الذكر والإستغفار، إجابة المؤذن، الدعاء، بر الوالدين، صلة الأرحام، تفريج الكروب، تفتير صائم، عيادة مريض، سماع الأشرطة النافعة، حضور مجالس العلم. . وإن همت بأمر فلها أن تقول دعاء الإستخارة من غير صلاة.

قواعد ومساائل في أحكام الاستحاضة:

الاستحاضة: دم طارئ أو عارض.

س: ماذا يلزم المستحاضة؟

ج: أن تتوضأ عند دخول وقت الصلاة وتغسل الأثر من الملابس - كما

سبق بيانه .-

قواعد ومسائل في الإستحاضة:

- ١ - المرضعة إذا نزل منها دم بسيط أقل من يوم وليلة فهذه استحاضة .
 - ٢ - لو أكلت حبوب منع الحمل ونسيت الحبة يوماً ونزل دم أقل من يوم وليلة أو صفرة أو كدرة ثم أكملت أكل الحبوب وارتفع الدم فهذه استحاضة . أما لو استمر الدم لمدة يوم وليلة أو أكثر فهو حيض .
 - ٣ - لو أكلت حبوب منع الحمل وبعد أسبوع أو عشرة أيام من أكلها تركتها فنزل دم فهذا حيض .
 - ٤ - لو أكلت حبوب منع الحمل أو حبوب رفع الدورة في حج أو عمرة أو صيام وبسبب شدة الحر أو نحوه كالمشي أو الاجهاد فنزل منها صفرة أو كدرة فهذه استحاضة .
 - ٥ - لو أجهدت نفسها أو رفعت شيئاً ثقيلاً أو ركبت في سيارة غير مريحة في طريق وعر أو أكلت أعشاباً وخرج دم في غير وقت الحيض ويختلف في لونه ورائحته فهذه استحاضة .
- تنبيه يكثر السؤال عنه:

- ١ - الإفرازات البيضاء أو الصفراء^(١) التي تخرج من الرحم في غير وقت الحيض طاهرة (لا تتوضأ منها المرأة ولا تغسل أثرها)، وهي مثل

(١) وهي ليست الصفرة والكدرة المتصلة بالحيض في أول أيامه أو آخرها التي سبق بيانها، والتعليل الطبي (أن الإفرازات البيضاء أمر طبيعي جداً وقد تميل في بعض الأحيان إلى الأصفرار وهي عبارة عن إفرازات من عنق الرحم والمهبل وهي تؤدي وظيفة حيوية هامة وهي تطيب الجهاز التناسلي والخارجي، كما تخلصه من بعض الشوائب والأوساخ بالإضافة إلى المحافظة على درجة حموضة معينة تمنع حصول الالتهابات الفطرية والبكتريا وغيرها) من كتاب تساؤلات حائرة ص ١٦٤ .

إفرازات العين والأذن والأنف . . . ، وهو ما يسميه الفقهاء رطوبة فرج المرأة ولا تسلم منها امرأة في الغالب .
٢ - الهواء الذي يخرج من قُبَل المرأة لا ينقض الوضوء .

٢٣ وقفات للمرأة المسلمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين، وجعله بقدرته في قرار مكين،
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه وقفات سريعة لبعض المخالفات التي تقع فيها بعض النساء،
ولخوف العقاب من الله - عز وجل - ذكرناها لتنبيهها لابنة الإسلام علَّ الله
أن ينفع بها وتجد من الأخوات المسلمات آذناً صاغية، وقلوباً واعية، ومن
تلك المخالفات:

أولاً: تأخير الصلوات عن وقتها كصلاة العشاء بسبب وضع المكياج
والمساحيق عند الخروج من البيت والتأخر في العودة إلى المنزل مما يسبب
التأخر في النوم؛ ومن ثم قد لا تُصلي صلاة الفجر إلا بعد طلوع الشمس
وهذه من صفات المنافقين، قال ﷺ: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني،
وإنهما قالَا لي: انطلق، وإنني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع ورجل
قائم على رأسه بيده صخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه (أي:
يشدخ به رأسه ويحطمه أجزاء صغيرة متناثرة) فيتدهده (أي: يتدحرج) الحجر
هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه
فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذا؟.. قالَا لي:
أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل
يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة» [رواه البخاري].

هذا يا اختاه لمن يؤخر الصلاة وينام عنها فما هو حال من لا يصليها؟!

وفي المقابل جعل - سبحانه وتعالى - الجنة ثواباً لمن حافظت على الصلاة، قال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» [صحيح الجامع].

ثانياً: عدم قضاء المرأة للصلاة التي دخل وقتها ولم تقم بأدائها بسبب نزول دم الحيض أو النفاس منها؛ فالواجب أن تقضيها فور طهرها، وكذلك يجب على المرأة إذا طهرت في وقت العصر أن تصلي الظهر والعصر جميعاً لأن وقتها واحد في حق المعذور كالمريض والمسافر، وهي معذورة بسبب تأخر طهرها، وهكذا في وقت العشاء إذا طهرت وجب عليها أن تصلي المغرب والعشاء جميعاً، كما أفتى بذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -.

ثالثاً: عدم الاهتمام بإخراج زكاة المال والحلي التي تملكها المرأة إذا حال عليها الحول وبلغ النصاب، والواجب أن تزكي المرأة عن حليها سواء ما تلبسه أو ما تكنزه كما أفتى بذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - وفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين - يرحمه الله - ونفع بعلمهما مع أن المسألة فيه خلاف بين العلماء.

ثم إن الزكاة ركن من أركان الإسلام ودعائمه التي يقوم عليها، وقد توعده الله - سبحانه وتعالى - من لم يخرجها بالعذاب الأليم، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ نَحْمِي عَنْهَا فِئَافِئًا مِن نَّارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَتَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

واحذري أن تبعي ذهباً بذهب مع إضافة أجرة التصنيع فإنه ربا، والطريق

السليم في هذا أن يُباع الذهب الكسر بثمان من غير مواطأة ولا اتفاق، وبعد أن يقبض صاحبه الثمن فإنه يشتري الشيء الجديد، والأفضل أن يبحث عن الشيء الجديد في مكان آخر، والمهم أن لا تقع المبادلة بين ذهب وذهب مع دفع الفرق ولو كان ذلك من أجل الصناعة.

رابعاً: السكوت عن الزوج والأولاد الذين لا يُصلون وعدم النصح لهم والإنكار عليهم، واعلمي - أختي المسلمة - أن من ترك الصلاة عامداً فقد كفر، ويُعدّ مرتداً عن الإسلام والمُرتد له أحكام: منها أن يفسخ عقد زواجه من امرأته ويكون استمتاعه بها استمتاعاً بامرأة أجنبية عنه وأولاده منها أولاداً غير شرعيين، فكيف ترضين بالعيش مع من ترك الصلاة وتهاون بها؟!

خامساً: عدم اهتمام الأم بمتابعة بناتها؛ حيث أن البنت قد تبلغ ويخرج منها دم الحيض ولا تأمرها أمها بالصلاة والصيام وبقية الواجبات المفروضة عليها، كما وأن بعض الأمهات يتهاون في لباس البنت لباساً ساتراً حتى تربي وتتعود على قلة الحشمة والحياء.

سادساً: الخروج من البيت متبرجة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الاحزاب: ٣٣].

ومن صور التبرج: كشف الوجه، أو وضع غطاء شفاف على الوجه، كذلك لبس الملابس الضيقة أو المفتوحة أو القصيرة، أو لبس الملابس الشفافة، أو ذات الفتحات الواسعة من جهة الصدر سواءً عند الخروج من البيت أو أمام المحارم غير الزوج؛ مما قد يؤدي إلى افتتان الرجال بمحارمهم، وعدم لبس القفازات والجوارب الساترة لليدين وضع العباءة على الكتف، ولبس البنطلون أمام النساء أو المحارم وهذا كله لا يجوز، وتنتشر هذه

الصور من التبرج في حفلات الزواج والأسواق والمستشفيات والمدارس وأثناء الخروج لزيارة الأقارب وغيرهم.

سابعاً: متابعة الموضة في اللباس والتسريحات والعطور والمساحيق والاهتمامات النسائية وهذا ضعف في الشخصية وفقدان للهوية، بل إنها قد تصرف على ذلك أموالاً كثيرة، وكذلك اقتناء المجلات التي تسمى بالبورصات وغيرها التي تحمل في طياتها الصور المحرمة، وأيضاً الموديلات والأزياء الكافرة التي تحت على التعري والتخلي عن الحجاب الشرعي وما يستر المرأة سترًا كاملاً، والسير خلف هذه المجلات وما تحمله من الشرور يجعل الكثير من النساء المسلمات يقعن في محاذير شرعية كثيرة، منها تقليد الكافرات فيما يلبسن من الملابس الفاضحة والضيقة والشفافة، وهذا هو أحد تفاسير قول الرسول ﷺ: «يَا رَبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ» [رواه البخاري].

وكذلك قد تقع المرأة المسلمة في تقليد الكافرات في كيفية تسريح الشعر وقصّه^(١) حيث تذهب إحداهن إلى الكوافيرات حتى يفعلن بها تلك القصات الدخيلة علينا من الغرب والشرق، قال ﷺ: «صَنَفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطُ كَأُذُنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ (أي: مائلات عن طاعة الله ويعلمن غيرهن فعلهن المذموم) رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ (أي: الإبل الطويلة العنق) لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجِدَ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» [رواه مسلم].

ثم تذكري أختي المسلمة يا من تحرصين على أن تظهري بأجمل المظاهر

(١) لا بأس بقص الشعر بإذن الزوج للترزين له ما لم يكن فيه تشبه بالرجال أو الكافرات فإنه يحرم.

وأحسنها أمام زميلاتك حتى يقال عنك: إنكِ ذات مظهر حسن، وذوق رفيع في اختيار الملابس والموديلات، والقَصَّات، إنكِ لن تخرجي من هذه الدنيا إلا بكفن، وستتركين خلفك كل ما أسرفت في تفصيله وحرصت على شرائه وامتلاكه من الملابس وغيرها.

ثامناً: تعليق الصور المجسمة وغير المجسمة على الجدران أو وضعها على الرفوف، وكذلك اقتناء الألعاب المجسمة للأطفال، وهذا منكر عظيم تهاون به كثير من الناس، قال ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة» [رواه البخاري].

تاسعاً: التقليل من الإنجاب والسعي لتحديد النسل لغير ضرورة كمرض أو عجز عن التربية؛ مما يؤدي إلى نقص الأمة الإسلامية، وقد قال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم» [رواه أبو داود].

ولماذا الخوف والتقليل من الإنجاب؟ أتخشين الفقر أو تخشين ألا تجدي لهم ما يأكلونه ويشربونه؟ إن الذي رزقك سيرزقهم، والذي أطعمك وسقاك سيُطعمهم ويسقيهم، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠] أو قد يكون السبب في ذلك هو الخوف على فساد البدن والجمال والرشاقة كما يُشيع ذلك أعداء الأمة الإسلامية، ثم تذكري - يا أختاه - أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، منها ولد صالح يدعوه له، فإن كان لك عدد من الأولاد وسعيت في تربيتهم وتعليمهم شرائع الدين وسننه وأحكامه فإنك ستجني ثمرة هذه العمل في المستقبل، قال ﷺ: «خيرُ نساءكم الولود الودود، المواسية (أي: التي تعين زوجها على أمر دينه ودنياه)، الموازية (أي: التي تطيع زوجها فيما يأمرها به في غير معصية) إذا اتَّقَيْن الله، وشرُّ نساءكم المتبرجات والمتخيلات، وهن المنافقات لا يدخل

الجنة منهم إلا مثل الغراب الأعصم (أي: أحمر المناكير والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من هذا النوع من النساء) [رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع].

عاشراً: بيتك هو دوحتك الصغيرة التي تستظلين فيها من هجير هذه الدنيا، فاحرصي على أن يكون بيتك بيتاً إسلامياً، واحرصي على طاعة زوجك والتودد إليه وعدم تحميله ما لا يطيق ولا تجحدي معروفه، وعليك بالبشاشة في وجهه وقضاء حاجته، وتفقد أكله وشربه وراحته، فإن حق الزوج عظيم وإنما هو جنتك ونارك، عن عمه حصين بن محصن، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: «أي هذه! أذات بعل؟» قلت: نعم، قال: «كيف أنت له؟» قالت: ما أكلوه (أي لا أقصر في طاعته وخدمته) إلا ما عجزت عنه، قال: «أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك» [رواه أحمد].

وعليك - أختي المسلمة - بالاقتصاد في أمر البيت، وعدم الإسراف والتبذير، فإنك مسؤولة عن ذلك، كما قال عليه الصلاة والسلام: «والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها» [رواه البخاري].

واحترمي مشاعر زوجك وأحسني معاشرته تفوزي بخيري الدنيا والآخرة.

اللهم اهد نساء المسلمين، وجنِّهن التبرج والسفور، وأفض عليهن من رحمتك ومغفرتك، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢٤ تنبيهات للمرأة المسلمة

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، والصلاة على البشير النذير، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن المرأة المسلمة هي ركيزة البيت المسلم والأسرة السعيدة، وكثيراً ما تقع في بعض المحرمات جهلاً أو غفلة أو محاكاة للغير، وحيث إن الإنسان مجازى بعمله ولا ينفعه أحد من أهل الأرض، نسوق للمسلمة المصلية العابدة بعضاً من التنبيهات التي ندعو الله - عز وجل - أن تتقبلها طاعة لله - عز وجل - وامثالاً لأمر رسوله ﷺ وتحذر منها وتتوب إلى الله من العودة إليها وتحذر منها، ومن تلك المخالفات:

أولاً: عدم الاهتمام بتربية الأولاد تربية إسلامية سليمة من الشوائب والمبادئ الدخيلة علينا من أعداء الأمة، ومن أمثلة ذلك: أن الأم قد تتساهل في شراء ملابس أطفالها فتشتري لهم الملابس القصيرة، أو التي تحمل كلمات أجنبية قد تكون ضد الإسلام وتعاليمه، أو تلك الملابس التي بها الصور المحرمة أو شعار النصارى وهو الصليب، وكذلك أن تقيم الأم احتفالات عند إكمال ولدها العام من تاريخ ولادته وهذا ما يسمى بعيد ميلاد الطفل، أو أن تطلب الأم من زوجها أن يلحق ولدهما في مدارس تُعَلِّم طلابها الموسيقى.

ومن صور عدم مبالاة الأم في تربية أولادها حلاقة شعر ولدها بأشكال غريبة مؤسفة فيها تشبه بالكفار، فالواجب على المرأة المسلمة أن تحرص كل الحرص على تنشئة أولادها كما نشأ أولاد الصحابة - رضوان الله عليهم -،

حيث تعلقت قلوبهم بالله ، وعليها أن تحثهم على المحافظة على الصلوات في المساجد وقراءة القرآن الكريم وربط همهم بنصرة الإسلام وصرفهم عن توافه الأمور ، لتسهم الأم المسلمة في إنشاء جيل يعيد للأمة مجدها المفقود ، وعزتها المسلوبة .

ثانياً: ركوب المرأة مع السائق الأجنبي (غير المحرم) والخلوة معه ، وقد قال الرسول ﷺ : « لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم » [رواه البخاري] .
إما إذا كان معه امرأتان فأكثر فلا بأس لأنه لا خلوة حينئذ بشرط أن يكون مأموناً وألا يكون في سفر ، كما أفتى بذلك فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - .

ثالثاً: الاختلاط بالرجال الأجانب كأخي الزوج (الحمو) وزوج الأخت وابن العم ونحوهم ، والتساهل بالمزاح معهم ورفع الصوت وعدم التستر عندهم ، حيث تلبس بعض النساء برقعاً وتجالسهم وتتجمل أمامهم دون وازع من دين ، أو رادع من حياءٍ ، وقد قال ﷺ : « إياكم والدخول على النساء » [رواه البخاري] .

بل إن بعضهن لا تكتفي بذلك فتجدها تصافحهم وهذا حرام سواء كان بحائل (كالعباءة ونحوها) أو من دون حائل ، وقد قال ﷺ : « إني لا أصافح النساء » [رواه أحمد والترمذي] ، وقال ﷺ : « لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » [رواه الطبراني] .

رابعاً: بعض النساء تعُدُّ السائق كأنه ليس رجلاً ، فتقوم بتغطية وجهها عن غير محارمها من الرجال ، ولكنها تكشفه للسائق وتخرج معه متعطرة ولا تبالي بذلك ، وتأخذ وتعطي معه في الحديث ، وقد تركب بجانبه .

خامساً: الدخول إلى الأسواق باستمرار لغير حاجة ملحة ؛ فتكثر الكلام

مع الرجال كالبائعين والخياطين، وتكثر الضحك والمزاح مع رفيقاتها في الأسواق بشكل لافت للنظر، وتقضي أوقاتاً طويلة فيها من دون حاجة، وقد قال الرسول ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» أي: زينته للرجال [رواه الترمذي].

سادساً: اتجاه بعض النساء للعلاج عند الأطباء الرجال بحجة الضرورة، وهذا حرام ما لم تكن ضرورة قصوى، مع أنه بالأمكان أن تُعالج عند طبيبات وفي المستشفى نفسه، وإن كان لا يوجد في المستشفى نفسه طبيبات، فإنها قد تكون من اللاتي ينفقن المئات بل الآلاف على توافه الأمور ولا تحمي جسدها وعرضها بمالها من أن يتمتع به الأطباء أو ينظرون إليه، فتذهب إلى أي مستشفى أو مستوصف طبي فيه طبيبات فتعالج عندهن، وإن احتاجت للدخول على طبيب فليكن معها محرم.

سابعاً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله في الأوساط النسائية، وقد يكون السبب إما حياءً ممن حولهن أو خوفاً منهن؛ وخاصة إذا كانت هؤلاء النسوة أكبر منهن سناً أو مركزاً اجتماعياً، أو ترك ذلك بحجة أن: (دع الخلق للخالق) وهذا كله من تلبس الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن الوسائل الدعوة إلى الله نشر الشريط والكتاب الإسلاميين، وإلقاء الكلمات الهادفة والمواظب المؤثرة في المجالس النسائية.

ثامناً: فعل بعض المحرمات التي تستحق من فعلتها لعن من الله، قال ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات

للحسن، المغيرات خلق الله» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة» [رواه البخاري].

والوشم: غرز الوجه أو الكف بإبرة حتى يخرج الدم ثم وضع كحل عليه حتى يخضر.

والنمص: إزالة شعر الحاجبين، أو تخفيفه.

التفلج: عمل فرجة بين الأسنان لغرض التجميل.

وقد ذكر الشيخ عبدالله بن جبرين - حفظه الله - في شريط (فتاوى عن المرأة) أن لبس العدسات الملونة يدخل في تغيير خلق الله، كما أن لها أضرار صحية على العين، وفي شرائها إهدار للمال، لذلك فهي محرمة. أما الوصل: فهو وصل الشعر بشعر آخر مستعار مثل الباروكة، وهي محرمة سواء بإذن الزوج أو من غير إذنه كما أفتى بذلك الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -.

تاسعاً: أن يتسرب إلى قلب المرأة الغرور والكبر بسبب ظهورها بمظهر حسن أو للبسها ملابس غالية الثمن، أو لجمال وهبه الله لها أو لغير ذلك وهذا منكر خطير يؤدي بصاحبه إلى الهلاك، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» [رواه مسلم].

ومن صور الغرور والكبر: عدم إفشاء السلام بين النساء.

عاشراً: مخالفة سنة من سنن الفطرة وهي تقليم الأظافر؛ فتجد إحداهن تطيل أظافرها، ثم تضع عليها صبغ يعرف باسم (المانكير) وهذا الصبغ يمنع وصول الماء إلى الأظافر، ثم تأتي من وضعته لتتوضأ ثم تصلي فتبطل صلاتها؛ لأن وضوءها غير صحيح؛ حيث إن الماء لم يصل إلى الأظافر، فإن كان لابد من وضعه فيجب أن تزيله قبل الوضوء.

حادى عشر: لبس القصير والرقيق والضيق من الثياب للنساء: كان مما غزانا به أعداؤنا في هذا الزمان هذه الأزياء والموضات التي وضعوا أشكالها وتفصيلها، وراجت بين المسلمين، وهي لا تستر العورة لقصرها أو شفافيتها أو ضيقها، وكثير منها لا يجوز لبسه حتى بين النساء وأمام المحارم، وقد أخبرنا النبي ﷺ عن ظهور هذه الأنواع من الألبسة عن نساء آخر الزمان كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» [رواه مسلم].

ومن أمثلة هذا ما يعرف في عصرنا بالباروكة، ومن الواصلات في عصرنا (الكوافيرات) وما تزخر به ضاللاتهن من المنكرات.

ومن أمثلة هذا المحرم أيضاً: لبس الشعر المستعار، كما يفعله بعض من لا خلاق لهم من الممثلين والممثلات في التمثيليات والمسرحيات.

اللهم جنبنا الشيطان ونزغاته، وأعذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم من أراد نساء المسلمين بسوء فأشغله بنفسه واجعل تدبيره تدميراً عليه، اللهم إقر أعيننا بصلاح نسائنا وبناتنا، واجعلهن من العابدات التقيات النقيات واجمعنا وإياهم في جنات عدن.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



بعض الفتاوی المتعلقہ بالحج

معنى الاستطاعة للحج

س: ما هي الاستطاعة بالنسبة للحج؟ وهل ثوابه أكبر عند توجهه إلى مكة المكرمة أم بعد عودته منها، وهل أجره عند الله أكبر إذا عاد منها إلى وطنه؟ أم إلى هنا حيث عمله أولاً؟

أجابت اللجنة الدائمة للإفتاء:

ج: الاستطاعة بالنسبة للحج أن يكون صحيح البدن، وأن يملك من المواصلات ما يصل به إلى بيت الله الحرام من طائرة أو سيارة أو دابة أو أجره ذلك حسب حاله وأن يملك زاداً يكفيه ذهاباً وإياباً وعلى أن يكون ذلك زائداً عن نفقات من تلزمه نفقته حتى يرجع من حجه، وأن يكون مع المرأة زوج أو محرم لها في سفرها للحج أو العمرة.

و أما ثواب حجه فعلى قدر إخلاصه لله وما قام به من نسك وما تجنب من منافيات الكمال لحجه وما بذله من مال وتحمله من جهد، سواء رجع أو أقام أو مات قبل تمام حجه أو بعده، والله أعلم بحاله، وهو الذي يتولى جزاءه، وعلى المكلف أن يعمل ويحكم عمله، ويراعي فيه موافقته للشرعية الإسلامية ظاهراً وباطناً كأنه يرى به ربه فإنه وإن لم يره فالله يراه ومطلع عليه، ولا يبحث عما إلى الله، فإنه - سبحانه - رحيم بعباده، يضاعف لهم الحسنات ويعفو عن السيئات ولا يظلم ربك أحداً، فعليك بنفسك ودع ما لله لله، الحكم العدل الرؤوف الرحيم. والله الموفق.

شروط وجوب الحج

وسئل فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين:

س: ما شروط وجوب الحج؟

فأجاب - حفظه الله -: شروط وجوب خمسة، وهي الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة فلا يصح من الكافر ولا يقبل حجة لفقد شرطه بل شرط جميع العبادات وهو الإسلام، ولا يلزم المجنون ولا يجزئه حجه، أما الصبي الذي دون البلوغ فيصح حجه ويثاب وليه فله أجر على ذلك، ولا يكفيه هذا الحج عن الفريضة فليزمه بعد البلوغ أن يحج حجة الإسلام، أما المملوك فلا يلزمه الحج لأنه مشغول بخدمة سيده وإن حج الفريضة لكنها تنعقد ويثاب عليها، فأما الاستطاعة فإن الله إنما أوجب الحج على من استطاع إليه سبيلاً، وفسرت الاستطاعة بأنها ملك الزاد والرحلة الصالحين، فهذه الشروط عامة، وهناك شرط سادس زاده بعضهم وهو أمن الطريق ولعله داخل في الاستطاعة، وشرط آخر خاص بالنساء وهو وجود محرم المرأة.

مرات بالميقات وهي حائض فلم تحرم ثم احرمت من مكة

سئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - السؤال التالي:

س: أنا ذاهبة للعمرة ومررت بالميقات وأنا حائض فلم أحرم وبقيت في مكة حتى طهرت فأحرمت من مكة فهل هذا جائز أم ماذا أفعل وماذا يجب عليّ؟

ج: العمل ليس بجائز والمرأة التي تريد العمرة لا يجوز لها مجاوزة الميقات إلا بإحرام حتى ولو كانت حائضاً فإنها تحرم وهي حائض وينعقد إحرامها

ويصح والدليل لذلك أن أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر - رضي الله عنها - ولدت والنبي ﷺ نازل في ذي الحليفة يريد حجة الوداع فأرسلت إلى النبي ﷺ كيف أصنع؟ قال: «اغتسلي واستغفري بثوب وأحرمي» ودم الحيض كدم النفاس، فنقول للمرأة إذا مرت بالميقات وهي تريد العمرة أو الحج، نقول لها: اغتسلي واستغفري بثوب وأحرمي.

والإستنفار معناه أنها تشد على فرجها خرقة وتربطها ثم تحرم سواء بالحج أو بالعمرة، ولكنها إذا أحرمت ووصلت إلى مكة لا تأتي إلى البيت ولا تطوف به حتى تطهر، ولهذا قال النبي ﷺ لعائشة حين حاضت في أثناء العمرة قال لها: «افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي في البيت حتى تطهري» «هذه رواية البخاري ومسلم وفي صحيح البخاري أيضاً ذكرت عائشة - رضي الله عنها - أنها لما طهرت طافت بالبيت وبالصفا والمروة فدل هذا على أن المرأة إذا أحرمت بالحج والعمرة وهي حائض أو أتاها الحيض قبل الطواف فإنها لا تطوف ولا تسعى حتى تطهر وتغتسل، أما لو طافت وهي طاهرة وبعد أن انتهت من الطواف جاءها الحيض، فإنها تستمر وتسعى ولو كان عليها الحيض، وتقص من رأسها وتنهي عمرتها؛ لأن السعي بين الصفا والمروة لا يشترط لها الطهارة.

حكم إحرام المرأة في الشراب والقفازين؟

سُئِلَ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - السؤال التالي:

س: ما حكم إحرام المرأة في الشَّراب والقفازين، وهل يجوز لها خلع ما أحرمت فيه؟

ج: الأفضل لها إحرامها في الشَّراب أو في مداس، هذا أفضل لها وأستر لها، وإن كانت في ملابس ضافية كفى ذلك، وإن أحرمت في شراب ثم

خلعته فلا بأس كالرجل يحرم في نعلين ثم يخلعهما إذا شاء لا يضره ذلك، لكن ليس لها أن تحرم في قفازين؛ لأن المحرمة منهيّة أن تلبس القفازين، وهكذا النقاب لا تلبسه على وجهها، ومثله البرقع ونحوه؛ لأن الرسول لله نهاها عن ذلك، لكن عليها أن تسدل خمارها أو جلبابها على وجهها عند وجود رجال غير محارمها، وهكذا في الطواف والسعي لحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه» أخرجه أبو داود وابن ماجه.

هل للنساء ملابس محددة لأداء مناسك الحج؟

سُئِلَ الشيخ صالح الفوزان السؤال التالي:

س: هل من الضروري أن تلبس المرأة ثياباً ذات ألوان محددة عند أداء مناسك الحج؟

ج: ليس للمرأة ثياب مخصصة تلبسها في الحج، وإنما تلبس ما جرت عاداتها بلبسه مما يستر بدنهما وليس فيه زينة ولا تشبه بالرجال، وإنما نهيت المرأة المحرمة عن لبس البرقع والنقاب مما خيط أو نسج للوجه خاصة، وعن لبس القفازين مما خيط أو نسج للكفين خاصة، ويجب أن تغطي وجهها بغير البرقع والنقاب وتغطي كفيها بغير القفازين، لأنهما عورة يجب سترها، وهي لم تنه عن تغطيتهما مطلقاً حال الإحرام، وإنما نهيت عن تغطيتهما بالبرقع والنقاب والقفازين فقط.

إذا سقط من شعر رأسها رغباً عنها

سُئِلَ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - السؤال التالي:

س: ماذا تفعل المرأة المحرمة إذا سقطت من رأسها شعرة رغباً عنها؟

ج: إذا سقط من رأس المحرم - ذكراً كان أو أنثى - شعرات عند مسحه في الوضوء أو عند غسله لم يضره ذلك، وهكذا لو سقط من لحية الرجل أو من شاربه أو من أظفاره شيء لا يضره إذا لم يتعمد ذلك، وإنما المحذور أن يتعمد قطع شيء من شعره أو أظفاره وهو محرم، وهكذا المرأة لا تتعمد قطع شيء، أما شيء يسقط من غير تعمد فهذه شعرات ميتة تسقط عن الحركة لا يضر سقوطها.

حجبت وجاءتني الدورة الشهرية فاستحييت

ودخلت الحرم وطففت وسعيت وصليت

سُئِلَ الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - السؤال التالي:
س: قد حجبت وجاءتني الدورة الشهرية فاستحييت أن أخبر أحداً ودخلت الحرم فصليت وطففت وسعيت فماذا عليّ، علماً بأنها جاءت بعد النفاس؟

ج: لا يحل للمرأة إذا كانت حائضاً أو نفساء أن تصلي، سواء في مكة أو في بلدها أو في أي مكان لقول النبي ﷺ في المرأة: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم»، وقد أجمع المسلمون على أنه لا يحل لحائض أن تصوم ولا يحل لها أن تصلي، وعلى هذه المرأة التي فعلت ذلك عليها أن تتوب إلى الله وأن تستغفر مما وقع منها، وأما طوافها حال الحيض فهو غير صحيح وأما سعيها فصحيح، لأن القول الراجح جواز تقديم السعي على الطواف في الحج وعلى هذا فيجب عليها أن تعيد الطواف؛ لأن طواف الإفاضة ركن من أركان الحج، ولا يتم التحلل الثاني إلا به، وبناء عليه فإن هذه المرأة لا يباشرها زوجها إن كانت متزوجة حتى تطوف ولا يعقد عليها النكاح إن كانت غير متزوجة حتى تطوف والله - تعالى - أعلم.

حكم لبس الذهب حال الإحرام

سُئِلَ الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -

س: ما حكم لبس المرأة الذهب من خواتم وغيرها في حال الإحرام علماً بأنها تبرز لغير المحارم في كثير من الأحوال؟

ج: لا بأس أن تلبس المرأة ما شاءت حال الإحرام من الذهب إذا لم يخرج إلى حد الإسراف حتى الخواتم والأساور في اليدين، لكن في هذه الحال تستره عن الرجال الأجانب خوفاً من وقوع الفتنة.

استعمال حبوب منع الدورة أو تأخيرها لأجل الحج

سُئِلَت اللجنة الدائمة السؤال التالي:

س: في حبوب تمنع العادة عن النساء أو تؤخرها عن وقتها هل يجوز استعمالها وقت الحج فقط خوفاً من العادة؟

ج: يجوز للمرأة أن تستعمل حبوب منع الحيض وقت الحج خوفاً من العادة، ويكون ذلك بعد استشارة طبيب مختص على سلامة المرأة، وهكذا في رمضان إذا أحببت الصوم مع الناس.

توكيل المرأة غيرها لرمي الجمرات

سُئِلَت اللجنة الدائمة للأفتاء:

س: هل يجوز أن توكل المرأة في رمي الجمرات خشية الزحام، وحجها فريضة، أو ترمي بنفسها؟

ج: يجوز عند الزحام في رمي الجمرات أن توكل المرأة من يرمي عنها، ولو كانت حجتها حجة الفريضة، وذلك من أجل مرضها أو ضعفها، أو المحافظة على حملها إن كانت حاملاً، وعلى عرضها وحرمتها حتى لا تنتهك حرمتها شدة الزحام.

بيان أيام التشريق

سُئِلَت اللجنة الدائمة للإفتاء السؤال التالي :

س: عن بيان عدد أيام التشريق التي يسوغ للمسلم أن يستمر في ذبح أصحابه، ومتى ينتهي وقت التكبير المقيد في أدبار الصلوات المفروضة؟
فأجابت: أيام الذبح لهدي التمتع والقران والأضحية أربعة أيام: يوم العيد وثلاثة أيام بعده، وينتهي الذبح بغروب شمس اليوم الرابع في أصح أقوال أهل العلم، وينتهي وقت التكبير المقيد في أدبار الصلوات المفروضة عقب عصر آخر أيام التشريق.

الحائض والنفساء في الحج

سُئِلَت اللجنة الدائمة للإفتاء السؤال التالي :

س: ما حكم المرأة المسلمة التي حاضت في أيام حجها أيجزئها ذلك الحج؟

ج: إذا حاضت المرأة في أيام حجها فإنها تفعل ما يفعله الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت، ولا تسعى بين الصفا والمروة حتى تطهر، فإذا طهرت واغتسلت طافت وسعت، وإذا كان الحيض حصل لها ولم يبق عليها من أعمال الحج إلا طواف الوداع فإنها تسافر، وليس عليها شيء لسقوطه عنها، وحجها صحيح، والأصل في ذلك ما رواه الترمذي وأبو داود عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «النفساء والحائض إذا أتتا على الميقات تغتسلان وتحرمان وتقضيان المناسك كلها غير الطواف بالبيت» وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - أنها حاضت قبل أداء مناسك العمرة فأمرها النبي ﷺ أن تحرم بالحج غير ألا تطوف بالبيت حتى تطهر، وأن تفعل ما يفعله الحاج وتدخله على العمرة. وما رواه البخاري

عن عائشة - رضي الله عنها - : أن صفية زوج النبي ﷺ حاضت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «أحباستناهي؟» قالوا: إنها أفاضت، قال: «فلا إذا» وفي رواية: قالت: حاضت صفية بعد ما أفاضت، قالت عائشة: ذكرت حيضتها لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: «أحباستناهي؟» قلت: يا رسول الله، إنها كانت أفاضت وطافت بالبيت ثم حاضت بعد الإفاضة. فقال رسول الله ﷺ: «فلتنفر».

وسئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - الأسئلة التالية:

س: شخص أتى بالعمرة في أشهر الحج كشهر ذي القعدة ثم خرج من مكة إلى المدينة وأقام فيها حتى وقت الحج هل يلزمه التمتع أم هو مخير بين أحد أنواع الأنساك الثلاثة؟

ج: لا يلزمه التمتع فإن أراد أن يأتي بعمرة أخرى ويكون متمتعاً بها عند من قال انقطع تمتعه بالسفر فلا بأس ويكون متمتعاً بعمرته الجديدة وعليه الدم عند الجميع إذا أتى بعمرة من المدينة ثم حج بعدها، يكون متمتعاً عند الجميع، وإن شاء رجع بحج فقط وفيه خلاف هل يهدي أو لا يهدي؟ والصواب أنه يهدي لأن سفره إلى المدينة لا يقطع تمتعه في أصح الأقوال.

س: ما حكم من حج وهو تارك للصلاة سواء كان عامداً أو متهاوناً وهل تجزئه عن حجة الإسلام؟

ج: من حج وهو تارك للصلاة فإن كان عن جحد لوجوبها كفر إجماعاً ولا يصح حجه، أما إن كان تركها تساهلاً وتهاوناً فهذا فيه خلاف بين أهل العلم منهم من يرى صحة حجه، ومنهم من لا يرى صحة حجه، والصواب أنه لا يصح حجه أيضاً لقول النبي ﷺ: «العهد الذي بينا وبينهم

الصلاة فمن تركها فقد كفر» وقوله ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة» وهذا يعم من جحد وجوبها، ويعم من تركها تهاوناً، والله ولي التوفيق.

س: ما حكم من آخر طواف الإفاضة إلى طواف الوداع وجعله طوافاً واحداً بنية طواف الإفاضة والوداع معاً، وهل يجوز أن يؤدي طواف الإفاضة ليلاً؟

ج: لا حرج في ذلك إذا طاف عند السفر بعد أعمال الحج فإن طوافه للإفاضة يكفي عن طواف الوداع، سواء نوى طواف الوداع مع طواف الإفاضة أو لم ينو، المقصود أن طواف الإفاضة يكفي وحده عن طواف الوداع إذا كان عند الخروج وإن نواهما جميعاً فلا حرج في ذلك، ويجوز أن يؤدي طواف الإفاضة وطواف الوداع ليلاً أو نهاراً.

س: ما الحكم إذا أقيمت الصلاة والحاج أو المعتمر لم ينته من إكمال الطواف أو السعي؟

ج: يصلي مع الناس ثم يكمل طوافه وسعيه من حيث انتهى، يبدأ من حيث أنهى.

س: هل يلزم للطواف والسعي طهارة؟

ج: تلزم الطهارة في الطواف فقط، أما السعي فالأفضل أن يكون عن طهارة وإن سعى بدون طهارة أجزأ ذلك.

س: ما هي صفة السعي ومن أي مكان يبدأ الساعي وما عدد أشواطه؟

ج: يبدأ من الصفا ويختم بالمروة والعدد سبعة أشواط أولها يبدأ بالصفا وآخرها ينتهي بالمروة، يذكر الله فيها ويسبحه ويدعو ويكرر الذكر والدعاء والتكبير على الصفا والمروة ثلاث مرات، رافعاً يديه مستقبلاً القبلة لفعله

ﷺ ذلك .

س: أيهما أفضل الحلق أو التقصير بعد أداء النسك في العمرة أو الحج ، وهل يجزيء تقصير بعض الرأس؟

ج: الأفضل الحلق في العمرة والحج جميعاً لأن الرسول ﷺ دعا للمحلقين ثلاثاً بالمغفرة والرحمة ، وللمقصرين واحدة ، فالأفضل الحلق ، لكن إذا كانت العمرة قرب الحج فالأفضل فيها التقصير حتى يتوفر الحلق في الحج ، لأن الحج أكمل من العمرة فيكون الأكمل للأكمل . أما إن كانت العمرة بعيدة عن الحج مثلاً في شوال يمكن لشعر الرأس أن يطول فإنه يحلق حتى يحوز فضل الحلق .

ولا يجزيء تقصير بعض الرأس ولا حلق بعضه في أصح قولي العلماء بل الواجب حلق الرأس كله أو تقصيره كله ، والأفضل أن يبدأ بالشق الأيمن في الحلق والتقصير .

س: ما حكم المبيت خارج منى أيام التشريق سواء كان ذلك عمداً أو لتعذر وجود مكان فيها ، ومتى يبدأ الحاج بالنفیر من منى؟

ج: المبيت في منى واجب على الصحيح ليلة إحدى عشرة ، وليلة أثنى عشرة ، هذا هو الذي رجحه المحققون من أهل العلم على الرجال والنساء من الحجاج ، فإن لم يجدوا مكاناً سقط عنهم ولا شيء عليهم ومن تركه بلا عذر فعليه دم .

ويبدأ الحاج بالنفیر من منى إذا رمى الجمرات يوم الثاني عشر بعد الزوال فله الرخصة أن ينزل من منى ، وإن تأخر حتى يرمي الجمرات في اليوم الثالث عشر بعد الزوال فهو أفضل .

س: ما هو الأفضل للحاج في أعمال يوم النحر وهل يجوز التقديم

والتأخير؟

ج: السنة في يوم النحر أن يرمي الجمرات برمي جمرة العقبة، وهي التي تلي مكة يرميها بسبع حصيات كل حصاة على حده يكبر مع كل حصاة، ثم ينحر هديه إن كان عنده هدي، ثم يحلق رأسه أو يقصره والحلق أفضل، ثم يطوف ويسعى إن كان عليه سعي، هذا هو الأفضل كما فعله النبي ﷺ فإنه رمى ثم نحر ثم حلق ثم ذهب إلى مكة فطاف - عليه الصلاة والسلام -، هذا الترتيب هو الأفضل، الرمي ثم النحر ثم الحلق أو التقصير ثم الطواف والسعي إن كان عليه سعي فإن قدم بعضها على بعض فلا حرج ولو نحر قبل أن يرمي أو أفاض قبل أن يرمي أو حلق قبل أن يرمي أو حلق قبل أن يذبح كل هذا لا حرج فيه، النبي ﷺ سئل عن من قدم أو أخر قال: «لا حرج لا حرج».

س: متى يبدأ الحاج رمي الجمرات؟ وما كيفية الرمي؟ وما عدد الحصى؟ وبأي الجمرات يبدأ الرمي ومتى ينتهي؟

ج: يرمي أول الجمار يوم العيد وهي الجمرة التي تلي مكة ويقال لها (جمرة العقبة) يرميها يوم العيد وإن رماها في النصف الأخير من ليلة النحر كفى ذلك، ولكن الأفضل أن يرميها ضحى ويستمر إلى غروب الشمس فإن فاته الرمي رماها بعد غروب الشمس ليلاً عن يوم العيد يرميها واحدة بعد واحدة ويكبر مع كل حصاة، أما في أيام التشريق فيرميها بعد زوال الشمس يرمي الأولى التي تلي مسجد الخيف بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ثم الوسطى بسبع حصيات ثم الأخيرة بسبع حصيات في اليوم الحادي عشر والثاني عشر، وهكذا الثالث عشر لمن لم يتعجل والسنة أن يقف بعد الأولى وبعد الثانية بعدما يرمي الأولى يقف مستقبلاً القبلة

ويجعلها عن يساره ويدعو ربه طويلاً، وبعد الثانية يقف ويجعلها عن يمينه مستقبلاً القبلة ويدعو ربه طويلاً، في اليوم الحادي عشر والثاني عشر وفي اليوم الثالث عشر لمن لم يتعجل، أما الجمرة الأخيرة التي تلي مكة فهذه يرميها ولا يقف عندها لأن الرسول ﷺ رماها ولم يقف عندها - عليه الصلاة والسلام -.

س: ما حكم من حصل عنده شك بأن بعض الحصى لم يسقط في الحوض؟

ج: من شك فعليه التكميل يأخذ من الحصى الذي عنده في منى من الأرض ويكمل بها.

س: هل يجوز للحاج أن يرمي من الحصى الذي حول الجمار؟

ج: يجوز له ذلك لأن الأصل أنه لم يحصل به الرمي أما الذي في الحوض فلا يرمي بشيء منه.

الفهرس

رقم الدرس	الموضوع	رقم الصفحة
	المقدمة	٣
١	الحج:	٤
	فضل الحج وثوابه، أداء شعائر الحج كما أمر الله - عز وجل -، متابعة النبي ﷺ، التلبية ورفع الصوت بها.	
٢	رسالة إلى أهل عرفة ومزدلفة ومنى:	١٢
	من نعم الله عليك أداء هذا الركن العظيم، فضل عشر ذي الحجة، الحسنات والسيئات في مكة، التوبة، الصبر، الدعاء، البعد عن الاختلاط، من أبواب الخير التي فتحتها الله للحاج وعليه أن يستثمرها.	
٣	اليوم الثامن من ذي الحجة:	٢٣
	ما يفعله الحاج في هذا اليوم، أنواع الأنساك، ما يحرم فعله بعد عقد نية الإحرام، مخالفات في يوم التروية.	
٤	يوم عرفة:	٣٠
	فضل يوم عرفة، ما يفعله الحاج في هذا اليوم، الحرص على استثمار الوقت في الطاعة والعبادة والدعاء، انكسار القلب وتفريغه وإحسان الظن بالله، تنبيهات على بعض المخالفات.	
	دعاء الحاج:	
٥	الحج من المواطن التي يرجى فيها إجابة الدعاء، آداب الدعاء، أدعية من القرآن والسنة.	٣٧
٦	ليلة مزدلفة:	٤٧
	دفع النبي ﷺ من مزدلفة، أعمال ليلة المزدلفة، تنبيهات على بعض المخالفات.	
٧	اغتنام الأوقات:	٥١
	الإكثار من قراءة القرآن، الجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس، الصدقة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غض البصر، حفظ الجوارح، قيام الليل ولو بركعات قليلة، التوبة والإنابة إلى الله.	

رقم الدرس	الموضوع	رقم الصفحة
٨	يوم الحج الأكبر: فضل هذا اليوم، أعمال هذا اليوم، تنبيهات على بعض المخالفات.	٥٧
٩	التوحيد أولاً: توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات، توحيد الإلهية، بيان عظم شأن التوحيد دخول الموحد الجنة، شروط لا إله إلا الله، التشدد في أمر التوحيد، كلمة التوحيد عظيمة المعنى ثقيلة الوزن.	٦٣
١٠	من حقق التوحيد دخل الجنة: إبراهيم - عليه السلام -، وصف الله - عز وجل - للمؤمنين السابقين إلى الجنة، حديث عمران بن حصين، الموحدون يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.	٧١
١١	العبودية: أعظم أمر في الإسلام الأمر بالتوحيد، التوحيد مخصص للذنوب ومآحق للخطايا، الإخلاص، من أجل التوحيد بني البيت العتيق.	٧٧
١٢	من أنواع الشرك: الذبح لغير الله، الحلف بغير الله، التمايم، دعاء غير الله، الأكثار من الحلف منافع لتعظيم الله، السخرية بالدين، الأبراج والطوالع، السحرة والمشعوذين، الأشجار والأحجار لا ترجى بركتها، الشرك الخفي.	٨٣
١٣	أيام التشريق: فضل أيام التشريق، أعمال هذه الأيام، تنبيهات على بعض المخالفات.	٩٠
١٤	برنامج عملي للحاج والمُعتمر وزائر مسجد الرسول ﷺ: الإخلاص، الاستفادة من الأوقات، ترتيب جدول للوقت، الطواف، قراءة القرآن، الدعاء، صلة الرحم، المسابقة إلى الخيرات، زيارة المسجد النبوي، العودة.	٩٣
١٥	كفى به واعظاً: الموت وكرهه وغصصه، مشهد الموت، ملك الموت مع داود - عليه السلام -، ما نزل بالنبي ﷺ عند الموت، أبوبكر	٩٨

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الدرس
	في ساعة الاحتضار.	
١٠٥	التوبة:	١٦
	فتح باب التوبة، فضل الله - عز وجل - على التائبين، الحج فرصة للتوبة، المحاسبة قبل الممات، جهاد النفس، مكفرات الذنوب، شروط التوبة.	
١١٢	الحال بعد العودة:	١٧
	صفحة جديدة بعد الحج، رؤية العبد لتقصيره، علامات قبول العمل.	
١١٥	صفة حجة النبي ﷺ:	١٨
	حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - الطويل في صفة حج النبي ﷺ.	
١٢٠	الصلاة عمود الدين:	١٩
	أهمية الصلاة، وجوب أدائها في المساجد مع جماعة المسلمين، الصلاة نهر جار، الصلاة أول ما يحاسب عليه العبد، حكم من لا يصلي، من يصوم ويحج ولا يصلي؟	
١٢٨	الحجاب واجب شرعي:	٢٠
	الحجاب طاعة وعبادة، ثواب الأجر على الطاعة، ماذا فعلت الصحابيات عندما نزلت آية الحجاب، شروط الحجاب الشرعي الواجب تغطية الوجه لأنه محل الفتنة، فتوى للشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -	
١٣٤	من أحكام الطهارة للنساء:	٢١
	الحيض، قواعد ومساائل في أحكام الحيض، مدة الحيض، أحكام الاستحاضة.	
١٤١	قواعد ومساائل في أحكام الصفرة والكدر، والقصة البيضاء:	٢٢
	بم تعرف المرأة طهارتها، قواعد ومساائل وتفصيل، تفقد الطهارة، صفة الغسل الكامل، من أعمال الخير للمرأة في فترة الحيض، أحكام الاستحاضة.	
١٤٨	وقفات للمرأة المسلمة:	٢٣
	تأخير الصلوات عن وقتها، عدم الاهتمام بإخراج زكاة الحلي، السكوت عن الزوج والأولاد الذين لا يصلون، التبرج والسفور، متابعة الموضة، النامصة، تعليق الصور	

رقم الدرس الم و ز و ع رقم الصفحة

	الجسيمة، التقليل من الانجاب، حق الزوج.	
٢٤	تنبيهات للمرأة المسلمة:	١٥٤
	الحرص على تربية الأولاد، ركوب المرأة مع السائق	
	الأجنبي، الاختلاط بالرجال، دخول الأسواق لغير حاجة	
	تذكر، لبس القصير والرقيق والضيق أمام النساء.	
٢٥	بعض الفتاوى المتعلقة بالحج:	
١٦١	معنى الاستطاعة في الحج؟	
١٦٢	شروط وجوب الحج؟	
١٦٢	المرور بالمیقات؟	
١٦٣	إحرام المرأة في الشراب والقفازين؟	
١٦٤	ملابس المرأة بالحج؟	
١٦٤	إذا سقط من شعر رأس المرأة؟	
١٦٥	حجت وجاءتها الدورة الشهرية ودخلت الحرم؟	
١٦٦	لبس الذهب حال الإحرام؟	
١٦٦	حبوب منع الدورة؟	
١٦٦	توكيل المرأة للرمي؟	
١٦٧	أيام التشريق؟	
١٦٧	الحائض والنفساء في الحج؟	
١٦٨	حج وهو لا يصلي.	
١٦٩	تأخير طواف الوداع؟	
١٦٩	أقيمت الصلاة وهو يطوف؟	
١٦٩	آخر طواف الوداع؟	
١٦٩	هل يلزم الطواف والسعي طهارة؟	
١٦٩	صفة السعي؟	
١٧٠	أيهما أفضل الحلق أو التقصير؟	
١٧٠	حكم المبيت خارج منى؟	
١٧٠	ما هو الأفضل للحاج أيام التشريق؟	
١٧١	متى يبدأ رمي الجمرات؟	
١٧٢	حصل عنده شك بأن بعض الحصى لم يسقط في الحوض؟	
١٧٢	هل يجوز أن يرمي من الحصى الذي حول الجمار؟	
١٧٣	الفهرس.	